المشرق

السنة الثالثة والستون — ايار – حزيران ١٩٦٩

نشيد الشعانين

للقديس رومانس المرنّم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه

الارشمندريت نقولا قادري الراهب الشويري

توطئة

كان ذلك في شهر نيسان. حين بدأ الخبر ينتشر. انتشر الخبر بقيامة لعازر بين سكان اورشليم القريبة من بيت عنيا حيث كان لعازر. والى اورشليم كان يتجه كل خبر مهم كما الى نقطته الدينية والسياسية. فانضم الاعجاب الى المكر وسرى الحادث الغريب بين آلاف اليهود سكان المدينة وبين آلاف السياح القادمين الى العيد الى عيد الفصح. سبق كتاب سفر الخروج وأمر بانتقاء الحمل الفصحي في شهر نيسان واتخاذه قبل اربعة ايام الى حيث سوف يذبح في اورشليم في المكان الوحيد في العالم حيث يستطيع الناس تقدمة الذبائح وذبح الحمل الفصحي..

ففي احد الشعانين كانوا يختارون الحمل بين الهتافات وصراخ الشعب المتألب في هذه المدينة الصاخبة وكانوا يذبحون الحمل الفصحي نهار الجمعة المقدسة. وامضى يسوع آخر سبت له في بيت عنيا مع لعازر صديقه واختيه مريم ومرتا وانتشر الخبر بان يسوع سوف يذهب الى اورشليم ويدخل المدينة. فتألبت جماعة كانت منحدرة من اورشليم الى بيت عنيا وأتت جماعة اخرى من بيت عنيا ورافقت يسوع الصاعد الى اورشليم وعند الملاقاة تحمس الشعب وهتفت الجماهير هتافات الانتصار ورددت الأودية صدى هذه الهتافات فسرى الصوت بسرعة الى مسمع الرومان المتنبهين الساهرين فزادوا حراسة وتيقظاً وانتشرت اصداء في مسامع الفريسيين والكتبة فهاجوا وماجوا وارغوا وازبدوا وهموا بقتل المسيح فوراً ولكنهم توقفوا عند حماسة الشعب.

اخذ رومانس بهذه الحادثة وحللها تحليلاً ادبياً ونفسياً فجاء نشيده بين الاناشيد الجميلة وقد حفظته لنا مخطوطات جزيرة باطمس كاملا غير مشوب ولا مشوه.

يتركب النشيد من ست عشرة مقطوعة او « بيتاً » ويربط هذه المقطوعات توزيع لطيف :

نشيد الشعانين لرومانس Εἰς τὰ Βαΐα Ῥωμανοῦ.

يبدأ النشيد بالمقدمة التي هي عرض الاشخاص: المسيح، الملائكة، الاطفال والناس. وعرض للموضوع: يسوع يركب عفواً ويسمع هتاف الانتصار « مبارك انت الآتي» والغاية التي لاجلها يركب العفر « لتبعث آدم » وتجدده.

فتجديد الخليقة يتم بتجديد آدم.

في المقطوعة الأولى يبدأ الشاعر بتعداد انتصارات المسيح على الجحيم والموت والعالم بانهاضه لعازر ويستقبله الشعب كظافر. ويظهر يسوع بمظهر ملك وديع متواضع يعلو عفواً ويسرع لارتشاف الالم (م—٢) فتميد صهيون من الاضطراب ويبقى يسوع ملك السلام (م—٣) ويعدد الشاعر عجائب يسوع ويأخذ منها فقط قيامة الاموات : اقامة لعازر وابن الارملة وابنة يائيروس ومع ذلك يتنكر الشعب للمسيح (م—٤) ويرجع الشاعر هذا التنكر الى طبيعة الشعب الى قدم الاجيال فيعرض امام اعين الحاضرين تنكر اليهود لموسى المشترع والمحسن الذي تجاهله شعبه وعبدوا العجل (م—٥) ثم يقابل الشاعر بين المسيح الذي هو النعمة والحق وبين جوليات العاتي الذي يمثل الشريعة والحرف (م—٦).

ثم تمر امام الشاعر مغارة بيت لحم القرية من اورشليم فيقابل مشهد الاستقبال والهتافات مع هتافات الملائكة لمن ترك السماء وتجسد (م—٧) وكيف اختار المسيح حالة الفقر في بيت لحم والآن ايضاً يختار الفقر فيعلو على حيوان اعجم (م—٩) ويتنازل يسوع هنا الى الصلب ويمزق الصك بصليبه (م—١٠).

وهنا يدور حوار رشيق بين الاله الخالق والبشرية الخليقة الساقطة ويفهمها ان الشريعة عاجزة على انقاذ الانسان وعاجزة على تسديد الديون المتراكمة (م—١١) وهذا التسديد للديون تم بالصليب وبالحب، بالفقر والاتضاع وتحمل الآلام وانتزاع البشر من اشداق الذئاب (م—١٢).

وهنا يصل السيد المسيح الى مقابل اورشليم فيغمرها بالحنان ويتفجع عليها كانها في يوم الافتقاد فيراها تلعب بها ايدي الخربين (م—١٣) ثم يقرعها على اعمالها الشريرة وقتلها الانبياء السابقين وها هي الآن تجرد الى داخلها لتقتله كما قتلت الانبياء (م—١٤) فيدخل يسوع المدينة وقد ارتجت كلها تحت اقدام المتألبين حول يسوع فيلج الهيكل ويطرد منه غير الجديرين ويصرح بأنه ابن الله (م—١٥).

وينهي الشاعر نشيده بصلاة ضارعة هي بمثابة خاتمة للنشيد(م—١٦).

ويرجع هذا النشيد بمصادره الى الاناجيل المقدسة ويضفي علينا الشاعر وحياً طلياً وسياقاً في العمل عذباً. ينبي الشاعر رومانس بعبقريته الخلاقة ولا يستسلم للحرف بل يعمل فيه خياله المبدع فيأخذ من الكتاب ومن الطبيعة لوحات ومشاهد تخلع على النشيد اهاباً من الجمال والروعة. هو لا يتقيد بحرفية الكتاب لكنه يحرك العمل بمهارة وحرية ويستخدم بعض الآيات من الكتاب المقدس التي يراها تبلغه انسجام الافكار وانسياق الحوادث بتكفير عميق وتأمل مع احساسات تنبع من جمال نفسه وينبوع وحيه وشعوره وخياله.

لم يبخل الشاعر علينا بصورة حقة عن المسيح الاله الانسان فهو منسجم مع تاريخ الالوهة المتجسدة التي ارادت ان تعطي البشرية صورة صحيحة عن الله. عن الاله الانسان: «يعتلي العرش في السماء والعفو على الارض» (مقدمة). وهذه الصورة تحل محل الصورة المشوهة عن الله في برجه العاجي. فالمسيح هو صورة الله في طبيعة ابناء البشر هو «اله — وانسان — سيد وخادم — مخلص ومصلوب».

لم يُكتب تناقض مثل هذا فالسيد المسيح يجمع بين النقيضين: السيادة من جهة والفقر والاتضاع والألم من جهة اخرى.

وفي النشيد يبين هذا المزيج من الالوهة والخضوع من الغنى والفقر. من العظمة والحقارة «هوذا ملكنا اللطيف الوديع يعلو صهوة عفو ويسرع لارتشاف الألم (م-٢) «ومن هو على اجنحة الشاروبيم يركب عفواً (م-٢).

استعار المسيح مركب الصياد ليعظ الجماهير واستعار الخمس الخبزات والسمكتين ليشبع الجماهير الغفيرة وها هو يستعير العفو ليدخل المدينة.

وقد يحصل ان الله يستعيد كل ما يخص الانسان كانه يريد ان يفهمنا بأن كل الاشياء هي هبة من الله. ويكفي الناس الذين يعرفون الله ان يسمعوا بأن الله يحتاج اليهم حتى يلبوا ويعطوه كل شيء فيعرفون ان المسيح الاله الانسان: «انما صلب وحده كفارة عن الاطفال والشيوخ» (م-٢).

اننا نعجب من هذه الروح المهيمنة على المقطوعات في هذا النشيد فنحس بأن روح الله ينفح في هذه الابيات التي تعطينا صورة جميلة ولوحات بارزة عن الاله المتواضع وعن الحماس والروعة في الجماهير التي صرخت بقلب بريء وهتفت الى يسوع «هوشعنا — خلص العالم» وعرفت ان خلاص البشر متوقف على المسيح وحده وهوشعنا هي صرخة الفرح والانتصار والمديح تجمعت في افواه الاطفال: «استقبلك الرضع باغصان الشجر ويمجدوك كغالب صارخين «اوصنا لابن داود» (م-١).

مجدت الجماهير المخلص وعرفت فيه خلاص البشرية فوجهت لـــه الهتافات والمدائح وكشفت فيه رسول الله للامم وقالت «مبارك الآتي باسم الرب لتبعث آدم» (م-١).

القلوب تنفتح والالسنة تندلع والجماهير تحتشد حول هذا الغالب الظافر فتهتف هتافات المجد: «اناشيد الاطفال وزحمة الجموع ترمز الى قوتك، فخلص ايها السيد هؤلاء الصارخين «اوصنا ...» (م-٨) وانتصار يسوع على الموت انتصار التواضع والحب انتصار الجودة انتصار روح الله الذي به وبروحيه يعمل «هؤلاء المتواضعين امامك: «اشفق علينا عاطفاً على الشعانين ولتكن الشعانين مستدراً لحنانك.» (م-٨).

ويركب المسيح هذا الحيوان الاعجم لينجي الناطقين ابناء آدم: «الكلمة يمتطي الاعجم لينجي الناطقين فما أروعه منظراً» ويرمز العفو الى

شعب الامم الذي بقي حتى ذاك اليوم بلا لجام بلا شريعة ولكنه سوف يأخذ لجام الشريعة ويكون آلة لانتصارات المسيح بدلا من الشعب اليهودي ويخدم احسن خدمة ملكوت يسوع الملك اللطيف الوديع . ويرمز الاتان الى الشعب اليهودي الذي تنكر لسيده . وبدل ان يحبه ويحترمه صلبه « وابى ان ينشد مبارك انت الآتي لتبعث آدم » (م—٤) .

ويحق وجدارة يعد هذا النشيد بين روائع اناشيد رومانس لما فيه من روحانية مشرقة وخيال متفتح ومشاعر عميقة وايمان حيّ بحياة النبرات والمتافات المتجسدة بكل لازمة من المقطوعات المترددة « مبارك انت الآتي لتبعث آدم » .

نشيد الشعانين [١]

للقديس رومانوس المرنّم

المقدمة

ايها المسيح الاله : المعتلي
العرش في السماء
والعفو على الارض .
تقبل مديح الملائكة
ونشيد الاطفال
الهاتفين اليك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

---

١) Ἔλλη Κ. Κυριακάκη
Ῥωμανοῦ Τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι.
Τόμος Γ' Σελ. 187-205 Ἀθῆναι 1957

١ – قيّدتَ الجحيم وصرعتَ الموت
وانهضتَ العالمَ: ايها المسيح ،
فاستقبلك الرضع
باغصان الشجر
ومجدوك كغالب صارخين :
« اوصنا لابن داود »
وكانهم يقولون :
لن تذبح الاطفال من بعد
من اجل طفل مريم ؛
انما ستصلب وحدك
كفارة عن جميع الاطفال
والشيوخ
ولن يقوى السيف
ان يفصلنا عنك ،
بل سيطعن جنبك بحربة[1]
لذا نقول فرحين :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٢ – هوذا ملكنا اللطيف الوديع[2]
يعلو صهوة عفو
ويسرع لارتشاف الألم
لينتزع آلامنا .
الكلمة يمتطي الاعجم
لينجي الناطقين .
فما اروعه منظراً !
من هو على اجنحة الشاروبيم
يركب عفواً .
من وهب ايليا قديماً
مركبة من نار ليصعد بها[3] ،
يتلبس الفقر والضعة[4] .
من هو الغني من طبعه[5] ؛
يرغب في الضعف..
من نفث القوة في البشر
فصرخوا قائلين :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) يو ١٩–٣٤
(٢) يو ١٢–١٥ زكريا ١٩–٩
(٣) سيراخ ٤٨–٩
(٤) ٢ كور ٨–٩
(٥) فيلبي ٤–٣–٠

٣ — مادت صهيون كلها
كما مادت مصر سابقاً :
هذه بأوثانها الجامدة
وتلك بابنائها الاحياء .
الكل ترنح لمقدمك .
ولم تضطرب انت ، ايها المخلص :
لانك زارع السلام .
وبما انك خالق الجميع
جردت الاعداء من سحرهم كله
وطردتهم من كل مكان .
لانك سائد على كل مكان .
قديماً انهارت اصنام الأمم
والآن جميع عبدتها
حطموا اوثانهم
حين سمعوا الاطفال
ينشدون :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٤ — « من هو هذا ؟ »
قال الذين تنكروا لك عمداً[1].
وقد قيل انهم لا يعرفون ابن داود ،
ولا ذاك الذي حررهم
من الفساد[1] .
نزعوا عن لعازر أكفانه[2]
ولكنهم تجاهلوا باعثه من الموت .
وهؤلاء الذين رزحت اكتافهم
بجنازة ابن الارملة قديماً[3]
تنكروا لمن انتزعه من قبضة الردي
وهؤلاء الذين ما برحوا
بيت يائيروس[4]
رفضوا ان يتعرفوا
على من اعاد الحياة لابنته .
هؤلاء كلهم يعرفونك
ولكنهم يأبون ان ينشدوا لك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم »

---

(١) ٢ كور ١–١٠ روما ٨–٢١
(٢) يو ١١–٤٤
(٣) لوقا ٧–١١
(٤) متى ٩–١٨

٥ — هؤلاء الكنودون الانذال
تستروا بالجهل
لئلا يعرفوا من يريدون قتله .
وابناء الكذب والتلفيق
فقدوا الايمان !
فجاروا تاريخهم الاول
وهم الآن يجددون احداثه .
لقد اخرجهم موسى من مصر
فتنكروا له فوراً[1] .
والمسيح خلصهم من الموت
فتجاهلوه .
تجاهلوا موسى
من عرفوا العجل[2] ،
وانكروا المسيح
من هم أتباع بليعال
لذا لم يريدوا ان يهتفوا :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٦ — حيّاك الاطفال بالاغصان
ودعوك ابن داود :
وانهم لمصيبون
لانك ، ايها السيد :
صرعت جوليات العقل العاتي .
النساء قديماً تألقن
جوقة واحدة
وتغنين بداود الظافر قائلات :
« قتل شاول ألوفه
وداود ربواته »[3] .
شاول هو الشريعة
ومع داود نعمتك يا يسوعي[4]
الشريعة تعني شاول
الحسود الطاغية
والنعمة فرع من داود الطريق المشرد .
فانت ، ايها السيد ، رب داود[5]
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

---

(١) خروج ٣—١٠
(٢) خروج ٣٢—١ و ٤
(٣) ١ ملوك ١٨—٦ و ٧
(٤) يو ١—١٧
(٥) متى ٢٢—٤٣ ولوقا ١٠—١٤

٧ — الشمس مركبة نور
فهي تخدمك وتذعن لامرك .
بما انك الاله الخالق .
أيستهويك الآن عفو ؟
فاسجد لحنوك .
قديماً وضعت في مذود
ولاجلي لففت بالاقماط ،
وعلى ظهر العفو انت الآن
مع ان السماء عرش لك .
هناك احاطت الملائكة
بمغارتك .
وهنا قادت الرسلُ
عفوك
سابقاً سمعت
« المجد لله في العلى »[1]
والآن تسمع :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٨ — باختيارك احتقار
اظهرت قوتك .
صورة للتقر
ركوبك متن حمار .
وبما انك سيد مجيد
مادت صهيون .
ولئن كانت ارديه الرسل
ترمز الى اتضاعك ،
فاناشيد الاطفال
وزحمة الجموع ترمز الى قوتك .
فخلص اذن ، ايها السيد :
هؤلاء الصارخين « اوصنا »
أنقذ : ايها المتعالي ،
هؤلاء المتواضعين امامك :
واشفق علينا عاطفاً على الشعانين
ولتكن الشعانين مستدراً لحنانك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

---

(١) لوقا ٢–١٤

٩ – أثِمنا آدم الدين
بأكله من الثمرة المحرمة[١] .
فغرّمنا نحن ذريته
اذ نفى ما عليه .
ولم يكتف الدائن
امتلاك المدين
بل اثقل بالدين
بنيه .
واذ تقاضى الابُ
ديونه افرغ بيته ،
وطرد كل من فيه
الى الخارج .
ولذا نعوذ بك ،
ايها القوي ،
لانك تعرف املاقنا .
اترك ديوننا .
فانت انت الغني :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٠ – اتيت لتنقذ البشر كلهم
وزكريا نبيّك شاهد بهذا
حين دعاك
« وديعاً وصديقاً ومخلصاً »[٢] :
اما نحن فاضنانا التعب
وانهزمنا وتشتتنا هنا وهناك
فظننا ان امتلاك الشريعة
هو فداء لنا لكنها استعبدتنا :
وان الانبياء سوف يعتقوننا
ولكنهم ايضاً قضوا
حتى على الامل في قلوبنا .
ولذا ترانا مع الاطفال الرضع
نضرع اليك ساجدين .
فاشفق علينا ولتكن شعانيننا
عربون حظوة في عينيك .
تنازل ، يا رب ، تنازل
وتقبل الصلب ومزق هذا الصك :[٣]
« فمبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) تكوين ٣–١٦
(٢) زكريا ٩–٩
(٣) كولسي ٤–٢٤

١١ — اجاب الخالق خلائقه المازجة :

يا جبلة يدي ، لما عرفت
ان الشريعة لا تقوى على خلاصك
اتيت بنفسي ؛
اجل ان الشريعة لعاجزة
عن انقاذك لانها لم تبدعك .
والانبياء كذلك عاجزون
لانهم هم ايضاً من صنع يدي ؛
كما انت ؛
انما يبقى لي وحدي
ان اسدد ما ترزحين تحته
من ديون .
باعني الناس من اجلك فتحررت
صُلبت من اجلك فحييت انت

قضيتُ ميتاً
لأعلّمك ان تشيدي :
« مبارك انت الآتي :
لتبعث آدم » .

١٢ — اما احببت الملائكة ؟

ولكنني لم ابخل بهذا الحب
عليك فانت فقير معدم .
واخفيت جلالي
وانا الغني صرت فقيراً بملء اختياري
واحببتك كثيراً
جعت وعطشت في سبيلك
وترديت باطمار الفقر
وجبت الهضاب والثلجج والأودية[1]
وانا ابحث عنك انت التائه المشرد[2]
ودعيتُ حَمَلاً[3]
لكي افتنك بصوتي وانقذك
ومن اجلك اريد ان اجود بذاتي
لأنتزعك انا الراعي[4] من اشداق
الذئاب .
واني اتحمل كل شيء
واريد منك ان تتولي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

---

(١) حزقيال ٦-٣ ، ٣٦-٤٠ و٤٦-٦
(٢) متى ١٨-١٢
(٣) يوحنا ١-٢٩
(٤) يو ١١-١١

١٣ — الاقوال تعقبها الافعال .
وحين بلغ يسوع المدينة
حركت اناشيد الاطفال
ضغينة اعدائه كلهم .
فرفع ابصاره
وصبها على صهيون
وتفجع عليها وقال :
« ولولي ، يا اورشليم ،
لانك وجدت اطفالك
وابناءك معلمين للاباء
وانك لتتباهين بالشر والخبث
واما الى الخير
فتجرين شيخوختك جرًا .
انهم لافضل منك
هؤلاء المنشدون لي :

« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٤ — سأدخلك عن قريب :
يا اورشليم ، بعد ان هجرتك حينا .
انا لا ابغضك
وانما انت لا تنفكين تقابليني
بالبغض انا واتباعي .
وعلامَ ابناؤك
يعدّون لي صليبا ؟
أليس بالعصا فلقت أمامهم
البحر كثوب[1] ؟
انهم يحفرون لي لحدًا
بدل مكافأتي ،
لاني بسطت غماماً ستراً لهم[2] .
اني لاهتز طرباً
فانا لاجلهم اتيت .
انا اعشق الآثم وأهوى الخاطئ
الساقط
حتى ينشد محبيّ :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم ! » .

(١) خروج ١٤–١٦ نحميا ٩–١١
(٢) مزمور ١٠٤–٣٩

١٥ — من يرى اعماق القلوب
وبخ اورشليم البطيئة الفهم .
والكاهن الاعظم دخل الهيكل
مع جميع الاطفال .
والابن الوحيد
خشي بيت ابيه
وطرد منه من كانوا فيه
يبيعون ويشترون فقال :
لا يبقى منكم احد هنا ،
لاني انا والاب وروحي القدوس
سوف نمر معاً من هنا .
الآن وجدنا قصراً
في قلوب الودعاء
المنشدين لي
باصواتهم وايمانهم :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٦ — يا ابن الله القدوس :
أحصنا في عداد مسبحيك
وتقبل صلاة خدامك
كما تقبلت صلاة الاطفال قديماً .
اشفق على من خلقت
وعلى من احببت
عندما حللت في ارضنا .
امنح السلام لكنائسك
التي عكرت الاعداء سلامها .
واعطني انا ايضاً اعطني
باخلاص ، صفحاً عن خطاياي
هبني ، يا الهي ، ان انطق بما تشاء
وابعد الكآبة عني
لكي لا تثقل روحي :
واظهرني مثقلاً بالثمار
وجديراً بان اقول :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

المونسنيور يوحنا رزق

١٨٧٠ – ١٩٤٥

بقلم جرجي ابرهيم نصر

درجت الأمم وتبارت الشعوب المتمدّنة على تكريم أدبائها وعظمائها ونوابغها بُناة الحضارة الأدبية باقامة الحفلات والإشادة بهم في الكتب والصحف احياءً لذكراهم، وتشجيعاً للناشئين للنسج على منوالهم وترسّم خُطاهم.

في الأمس القريب طوى الموت في لبنان صفحة نيّرة من صفحات أعلام الفكر والأدب، وغيّب صورة لبنانية جميلة تألّق نورها في اوائل عصر النهضة الفكرية، ولم يكُ هذا النبراس المضيء محظوظاً في حياته ولا في مماته: فلم ينبر قلم لرثائه، ولا فطن مؤرّخ الى تخليد أعماله وآثاره على ما كان به من وطنية متّقدة وغيرة على النهوض بلبنان الحديث وتهيئة السبل لسعادته ورفائه، فرأيت أن أزيح سدول النسيان عن تلك الشخصية الكريمة، عملاً بواجب مفروض على المواطنين الباقين حيال رجالاتهم الغابرين، عنيت بهذه الصورة الجميلة رجل الله البار المفضال.

المونسنيور يوحنا رزق

كان رحمه الله كاهناً فاضلاً وأديباً كبيراً وخطيباً مفوّهاً: جمع بين سعة الاطلاع، وفلسفة الحياة، وعمق التفكير، وبين بلاغة القول وحسن الأداء.

كان قبل سيامته كاهناً يُطلق عليه اسم صالح – وكان أبوه المعلم يوسف صالح رزق (١٨٣١–١٩١٦) ووالدته ملكة مبارك رزق (١٨٤٠–١٩٢٠). – أبصر النور في جزين في ٣ شباط سنة ١٨٧٠ واقتبل سرّ العماد المقدس من يد نسيبه الخوري مخايل رزق، ثم تلقّى علومه الابتدائية في مدرسة ماري يوسف جزين التي هي وقف على أسرته، على يد الخوري يوسف الطنب، فظهرت عليه سماة النباهة والذكاء، وكان من المجلّين بين أقرانه.

وفي سنة ١٨٩٠ دخل مدرسة مار عبدا هرهريا على زمن الخوري يوسف آصاف، وسيم كاهناً من يد المطران بولس مسعد ١٨٩٢.

ثم عاد الى جزين فدرس اللاهوت على الخوري يوسف الطب ، ثم علّم الصرف والنحو والبيان في مدرستي قرنة شهوان ومار يوسف جزين .

وفي سنة ١٨٩٨ أوفده المطران بطرس البستاني مرسلاً مارونياً الى المكسيك ليتفقّد فيها شؤون الرعيّة . فشخص الى تلك البلاد في أوائل هجرة اللبنانيين . فوقف على أحوالهم وشدّد عزائمهم ، وعمل على جمع كلمتهم ، ثم انصرف الى درس اللغة الاسبانية فبرع فيها وأجاد حتى أصبح ببرهة وجيزة يخطب فيها كأحد أبنائها المجيدين .

وفي سنة ١٩٠٠ منحه المجمع المقدس لنشر الإيمان ، لقب مرسل رسولي ؛ وسنة ١٩٠٣ نال لقب مونسنيور مع رتبة حبر روماني .

وفي سنة ١٩٠٥ اختاره أسقف « شيواوا » في المكسيك المطران « نيقولا بكافيلاس » نائباً عاماً في أبرشيته اللاتينية ، فخدمها سبع سنوات ، وتعمّق في اللغة اللاتينية . ومن غيرته الرسولية تأسيسه ميتماً لأبناء العمّال ، ومطبعة كاثوليكية كانت تنشر المطبوعات الدينية .

وفي سنة ١٩١٠ نشبت ثورة في المكسيك كان هدفها : نزع الحكم من يد الحاكم « بورفيرو دياز » فأنشأ المونسنيور رزق جريدة باللغة الاسبانية دعاها « مكسيكو » ضمّنها مقالات نفيسة ، تحدث فيها عن أضرار الثورات في البلاد بأسلوب رفيع اتّسم بالحكمة والحصافة وبُعد النظر ، وتناول فيها حضارة العرب وأمجادهم المطويّة ؛ ولمّا نجحت الثورة اضطّر الى مغادرة البلاد ، فسافر الى فرنسا وبقي في باريس ستة أشهر ومنها أبحر الى ايطاليا فنزل في دير الآباء الحلبيين الموارنة ثم في دير مار اشعيا للرهبان الأنطونيين ؛ وفي تلك المدة كان يتردّد على الكليّة الغريغورية ويراجع الحقوق الكنسية .

وفي سنة ١٩١٢ عاد الى جزين وانصرف الى خدمة النفوس ومساعدة القريب والعطف على الضعيف والكتابة في مختلف الحقول ، ودرس حالة لبنان تمهيداً لإنشاء مشاريع عمرانية إلاّ أن الحالة الدولية التي اضطربت آنذاك لم تترك له مجالا لتنفيذ مشاريعه .

ولمّا نشبت الحرب الكونيّة (١٩١٤—١٩١٨) سافر الى باريس وتطوّع في مؤسّسة الصليب الأحمر الفرنسي ، فبقي طوال مدة الحرب مرشداً روحياً لها ، فأسدى للانسانية المتألّمة أجلّ الخدمات ، وعاد الى وطنه لبنان سنة ١٩١٩ بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، فأقبل على الكتابة تأليفاً وترجمةً ، وعلى تحقيق بعض منجزات عمرانية ومشاريع وطنية ، منها إنشاؤه فندق الشالوف في جزين تعزيزاً للسياحة التي كان يرى فيها أوسع الرزق للبنان .

وفي ٢ ايار سنة ١٩٢٦ أنشأ في جزين جريدة «الشلال» غايتها الخاصة كانت تنشيط الاصطياف في ربوع لبنان فضلاً عمّا كان ينشر فيها من الأبحاث القيمة في الأدب والتاريخ والسياسة، فعاشت زهاء سنتين ثم احتجبت عن الظهور.

آثاره الأدبية: ١ً– الجلاء المسيحي: ترجمه من الفرنسية الى العربية ونشره بالطبع سنة ١٩٠٠ بعيداً عن وطنه في المهجر وهذا المؤلف هو الجزء الاول من كتاب للمونسنيور اوجانيوس كوليه رئيس اساقفة ريمس في فرنسا وقد ذكرته مجلة «المشرق» ٣: ٤٧٥.

٢ً– النفائس: كتاب يتضمن كلمات تاريخية وسياسية واجتماعية طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٣.

٣ً– تاريخ الحرب الكبرى: الأصل الفرنسي لفيكتور جيرو وقد أشفعه المترجم بملحق لتاريخ الحرب الكبرى في لبنان وقد سرد فيه الحوادث المؤلمة التي وقعت في لبنان واشترك فيه مع الترك الطغاة، كثير من اعيان اللبنانيين ووجهائهم يوم احتكروا الأقوات وأجاعوا الشعب وأذلّوه، طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٤.

وأنجز مخطوطة ضد الماسونية تقع في مايتي صفحة. ودوّن مجموعة من رسائله وتقاريره ومواعظه لا نعرف عن مصيرهما شيئاً بعد وفاته، ونشر مقالات كثيرة في مواضيع مختلفة على صفحات الجرائد والمجلات.

اللغات التي كان يجيدها: كان رحمه الله يجيد من اللغات: العربية والفرنسية والأسبانية واللاتينية والايطالية، وكان لإلمامه باللغات الأثر البعيد في تطوّر تفكيره، واشراق نفسه، فكان حديثه عن الشعوب التي أجاد لغاتها، حديث العالم الخبير بتطوّر مدنيّتها وثقافتها ونهضة شعوبها وعاداتها وقوانينها.

وطنيته: كان وطنياً حميماً يتغنّى بمجد لبنان، ويدعو الى المحافظة على استقلاله ورفع كلمته والتمسّك بأخلاق قومه وعاداتهم الحميدة، يلتهب غيرة على إنشاء المشاريع العمرانية، وتعزيز الثقافة ونشر العلم في أرجاء لبنان حتى يظلّ موطناً للفكر والرقيّ والإشعاع، كما كان وفياً مخلصاً لرجال الدين وأرباب الفضيلة والعلم، وكان بينه وبين الطيّب الذكر المرحوم الأباتي لويس عبيد الأنطوني البعبداتي، صلات ودّ وصداقة، وقد وصفه بعد مماته بقوله:

«كان مملوءاً غيرة وشهامة، ومندفعاً بكل ما يعود على الطائفة بالخير،

ولم يقدّروه قدره إلاّ بعد وفاته ، عملاً بالآية القائلة : الصدّيق يعيش مهاناً. ويموت مكرّماً ، ويظلّ قبره ممجّداً » .

وكان جسوراً مهيباً ، وقوراً ، خفيف الظلّ ، عفيفاً ، متواضعاً ، أنيس المجلس ، عذب الحديث ، وكان يحذّر الحاكمين من ارتكاب المظالم والعناية بأمور لبنان وتحسين موارده وضبط ادارته ويدعوهم الى العطف على الرعيّة والسهر على راحتها ، والعناية بشؤونها وتخفيض الضرائب ، برسائل تنطوي على الحكمة وسداد الرأي ؛ ومن تلك الرسائل التي عثرنا عليها : رسالتان : الاولى الى الكونت دي مارتيل المفوض السامي للدولة المنتدبة وقتذاك ، وقد عدّد له فيها أعمال كلّ من أسلافه ، وناشده أن يوجد الحلول التي توافق كيان لبنان وتأمين رفاهية شعبه وتصغير هيكل الحكومة ؛ والرسالة الثانية الى الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية يطلب منه ان ترصد وزارة الصحة والاسعاف العام في ميزانيتها اعتماداً لستة أسرّة مجانية لفقراء قضاء جزين ، وممّا جاء في هذه الرسالة قوله :

« ان الكاهن الذي لا يهتم بفقراء رعيّته ، هو بئس الكاهن ، ومثله الحاكم ، ان الحكومة الانكليزية في فلسطين قد جفّفت عشرات الكيلومترات وأنشأت عشرات المصحّات والمستشفيات محافظة على الصحة العامة في بلد كان مقبرة لساكنيه ، أمّا الآن فبفضل هذا التدبير أضحى بلداً صحيّاً . فاعطف على الفقراء تكسب قلوب الجميع ، لأن الإكثار من المؤسّسات الصحيّة في بلد ، هو أكبر دليل على مدنيته ورقيّه وأعظم محبّب للشعب بحكومته » .

وبعد أن جاهد جهاداً حسناً في كرم الرب ، أصيب برجفة عصبية خطيرة لازمته حتى وفاته . فلم تفتر له عزيمة ، ولا فارقه حبّه للكتابة ولنفع الناس ، بل كان يستعين على الكتابة بأنسبائه وأخصائه ، ويملي عليهم رسائله ؛ فممّن أملى عليهم المؤرخ الأب يوسف أبي نادر الأنطوني الجزّيني الذي عُني بأموره الروحية في آخر أيامه ، فوقف على أدوار حياته ، وتعرّف عن كثب ، الى روحه المسيحية وأخلاقه العالية .

وقد لفظ أنفاسه الأخيرة في داره في جزين يوم الثلاثاء ١٩ حزيران سنة ١٩٤٥ فذهب مأسوفاً على مبرّاته وأخلاقه وعلمه وجهاده ، ودفن باكرام في مدفن كنيسة مارى يوسف في جزين التي هي وقف أسرته تغمّده الله برحمته ورضوانه .

بكاسين جرجي ابرهيم نصر

خليل يوسف نصر

١٨٩٢ — ١٩٥٤

بقلم جرجي ابرهيم نصر

كان كاتباً أديباً وشاعراً رقيقاً وصحفياً واسع الأفق. أبصر النور في بكاسين في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢ من والدين هما: يوسف بن شاهين بطرس عبّود مسعد سمعان أبو رعد نصر واميلي ابنة مارون شاهين مارون نخول شربل نصر، ونشأ وترعرع في كنفيهما مشمولاً بالرعاية والحنان؛ وتلقى مبادئ العلوم في وطنه وأتمها في مدرسة قرنة شهوان فكان من المجلّين. وانصرف الى تدريس الناشئة مدة وجيزة، فغرس في نفوس الطلاب حبّ العلم ومحبة الوطن والتمسك باهداب الدين.

وفي اوائل سنة ١٩١٢ هاجر الى مكسيك حيث زاول التجارة ردحاً من الزمن ولم تحُل أعماله التجارية دون متابعته رسالته الأدبية.

فان اللبناني مهما طالت غربته عن وطنه، ومهما بلغ من الجاه وأدركه من الثراء في دار غربته، فانه لا يزال دائب الحنين، دائم الشوق الى مسرح خياله ومثوى آبائه، تراوده أحلام العودة، وتساوره ذكريات الطفولة والشباب، فهو يتمنى لو ضمّ رفاته الى تراب أجداده ومواطنيه، وهيهات أن تتحقق أحلام الكثير من هؤلاء النازحين، فيقضون أسىً وضنىً في دار الغربة، ومن هؤلاء المغتربين هذا الأديب اللبناني المغمور الذي ركب متن الاغتراب فتياً نجاهد في الحياة جهاداً مستمراً، واحترف الأدب في دار هجرته، فأنشأ مع زميله الاستاذ داود سليم الشرتوني جريدة « الفرائد »

في مكسيك بعد أن اشتريا امتيازها من صاحبها الشيخ ناصيف الفضل سنة ١٩٤٥ وتابعا السير على منهجه في بعث التراث العربي الدفين ، ونشر الأبحاث الأدبية ومعالجة القضايا العربية الوطنية ، وخدمة الجالية اللبنانية . وقد بذلا تضحيات وجهوداً لرفع مستواها الصحفي في مجالات مختلفة من مجالي الأدب والفكر . وقد تفرّد « الخليل » بنشر مقالات أدبية ، وسياسية ، واجتماعية ، ووطنية . عالج بها ضرورة تعليم أبناء الجالية اللبنانية في مكسيك لغة آبائهم وأجدادهم ، وحثهم على زيارة وطنهم الأول لبنان ، لكي تنطبع آثاره وحضارته في أذهانهم ، وحتى تظلّ الصلة مربوطة بينهم وبين الوطن الأول وحتى لا تنقطع هذه الرابطة باندثار آبائهم .

ثم أنشأ مجلة « لبنان » باللغتين العربية والاسبانية ، وكانت الغاية من إنشائها تعريف الأجانب الى تاريخ لبنان وحضارته وأمجاده عبر العصور ، وقد كتب فيها بحوثاً نافعة ومفيدة عالجها بتؤدة وحكمة وبُعد نظر .

وحسبه فخراً أنه في الآونة الأخيرة من حياته وجّه اهتمامه الى تدوين تاريخ الهجرة اللبنانية والسورية والفلسطينية الى مكسيك بالاشتراك مع زميله الاستاذ سليم عبّود فجاء الكتاب في مجلّد ضخم نافع دلّ على مدى جهادهما وتضحيتهما .

مرضه ووفاته : وقد أصيب رحمه الله نتيجة مجهوده وإرهاقه بعلّة قلبية حادة لازمته طويلاً وبرّحت به أشد التبريح وألزمته الفراش زمناً فعانى من جرّائها آلاماً استنزفت قوّته وماله .

وهكذا ظلّ هذا اللبناني المجاهد يناضل في ميدان الأدب والفكر ويؤدّي رسالته الأدبية حتى أدركته الوفاة صباح الاثنين في ١٠ من ايار سنة ١٩٥٤ في مكسيك فخسر لبنان بفقده إبناً باراً ووطنياً صادقاً وصحافياً قديراً قضى حياته في خدمة وطنه ولغته .

وقد هرع أبناء الجالية اللبنانية الى داره يؤاسون أسرته ويشاطرونها اللوعة والأسى وكان في مقدّمة المعزّين حينذاك الوزير المفوض الشيخ خليل تقي الدين وأركان المفوضية ووجهاء الجالية يتقبلون التعازي ، وشيّع جثمانه الى وكالة دفن الموتى التي غصّت بالمشيّعين وغمرت بمئات الأكاليل ، وهناك صلّى على جثمانه لفيف من الاكليروس الموقّر برئاسة الخوري بطرس التهوجي الذي القى بعد الانجيل المقدس تأبيناً بليغاً ميتاً عظم الخسارة

التي تحلّ بالجالية اللبنانية منوّهاً بالخدمات الجليلة التي أسداها لوطنه لبنان وابنائه المقيمين والمغتربين .

وبعد الجناز نُقل الجثمان الى المدفن الاسباني في موكب مهيب حيث ووري في الثرى بين الزفرات والعبرات وتوالى المؤبنون في تعداد مناقبه فوفوه حقّه من التأبين .

وقد نعته الصحافة العربية والمكسيكية مبديةً أسفها على فقده وعددت مناقبه ، ومكارم اخلاقه ، وما اتصف به من نبل وكرم وأدب وعلم ؛ وقد نشرت الجرائد الكثير من المراثي التي قيلت فيه .

وتلقيّت نعيه بسيل من العبرات وسلسلة من الزفرات ، وحفظتُ له على مدى الأيام طيب المودّة وأجمل الذكريات ، وآليتُ على نفسي أن أحمّل الى الناطقين بالضاد ، آثار فضله وأدبه وغيرته على لبنان وأبنائه ، فرثيته بقصيدة مطوّلة أختار منها هذه الأبيات :

حيٌّ بذكرك والحياة تزول ونضيرُ فضلك ما عراه ذبولُ
قد راعني الخطبُ الأليم ووقعه فعرا فؤادي رعشةٌ وذهول
ماذا أقول وخطبك الدامي حنى ظهري ، وإني بالجوى مكبول
أعليتَ شأناً للصحافة عالياً بمباحث هي للخلود كفيل
درر بأنفاس الخلود تعطّرت ولها من الحلل اللطاف ذيول
خلّدتَ ذكرك في المآثر والنهى يفنى الورى والذكرُ ليس يزول
ووهبت روحك للبلاد مجاهداً وبك المواطن في النضال تصول
وتركتَ ذكراً خالداً متألقاً بسنى المحاسن ما عراه أفول
ورفعت للعرب الكرام معالماً ما إن لها بعد النهوض خمول
ما مرَّ ذكرك في فؤادي مرّةً إلاّ تولاّني أسًى ونحول
ماذا أعدّد من مآثرك التي هي بالحقيقة للكرام سبيل
فلئن طواكَ الموتُ في جوف الثرى فلكَ القلوبُ منازلٌ وطلول
فالمرء يُطوى والحياة قصيرةٌ عمرٌ بأثقال الهموم يطول

ء

ما ضرّه لو عاد يوماً للحمى ورآه مُردٌ في الحمى وكهول
لرأى السواجعَ في الرياض نوائحاً للفلّ والنسرين منه عويل

ولقد قضى في غربة شوقاً الى وطنٍ وجفنُ الشعر منه كحيل
ناحتْ حماماتُ اللوى في يومه والدمعُ من فوق الخدود همول
فلئن قضى فله القلوبُ مضاجعٌ وله الكرامة والسنا إكليل
والذكرُ باقٍ والجفونُ قريحة ولكلّ حيٍّ للمقام رحيل

وكان بيني وبينه رسائل تفيض شوقاً وحنيناً الى هذا الجبل الغنيّ برجاله وجماله الذي لا ينساه ابناؤه منها شطّ المزار وبعُدت الدار على حدّ قول شاعرنا اللبناني الكبير المرحوم الاستاذ بولس غانم :

وكيف تنسى ظباء البرّ مورِدَها وكيف تسلو طيور الجوّ أوكارا

كما كانت له مساجلات شعرية ، مليئة بذكريات صباه وملاعب شبابه ومراتع أخدانه ، ومن هذه المساجلات قصيدة بعث بها إليّ قبل وفاته بقليل . وقد غمس قلمه بدمه ليخطّ حروفها ؛ وكأنه رحمه الله كان يتوقّع أن يلبّي داعيَ ربّه في دار غربته ؛ وقد أرسل اليّ الأبيات الآتية وهي آخر ما خطّه قلمه :

أمذكريّ زمنَ الصبا والعيشَ في دار السرور
حيث البلابل أنشدت للفجر الحان الدهور
سكرت بخمرة مائه متدفقاً بين الصخور
وشذا خمائله نمّتْ ما بين أوكار النسور
وتذيع أرزته لعصر النور تاريخ العصور
وربى شوامخه تعير الحسن ربّات الخدور
لبستْ عذارى الحيّ من ثلج الربى بيض الحبور

ه

أبناؤه نشروا الحضارة بالصليل وبالصرير
فتحوا المشارق والمغارب واعتلوا متن البحور

ه

يا باعثاً أشواقه ناراً تجلّتْ في السطور
حبّاً مقيماً في الضلوع ، ونازلاً طيّ الصدور
ذكراك رائعة الشذا عبقتْ بأنواع العبير

أترى نعودُ الى الحمى ونرى الأحبّة في حبور ؟
مهدُ الطفولة ذكره في خاطري مثل العطور
تشدو على أفنانه في الصبح اسراب الطيور
انشودة الصبح الجميل وبسمة الفجر الطهور

•

وطني الصغير بحنه يُنبي عن الوطن الكبير
حيث الصنوبر مرسلٌ خضر الذوائب كالشعور
كم ذا هزرتُ بذكره عند العشيّة والبكور
وذكرت ايام الصبا في المهد والكوخ الحقير
ولكم أُصعّدُ في بعيد الا ارض انات السعير
شوقاً الى لبنان حيّاً أو رميماً في القبور

وقد رددت عليه بالأبيات التالية :

تشتاق روحُك للربى شوقَ العطاش الى الغدير
حيث الغصون ترنّحت طرباً على رقص الطيور
والروض أسكره مزيج الا ظلّ بالماء النمير
والزهر ينعث نشره من كلّ فوّاح العبير
وتودّ ان تحتلّ دا رك عند اوكار النسور
ما بين خافقة القلوب وبين باسمة الثغور
لا في القصور الشاهقات ولا الخورنق والسدير
بل ظلّ بيت رافلاً بالرغد في الكوخ الحقير

•

ضاقتك بهمّتك الا رواحل فاعتليتَ على البحور
يا شعلةً من همّة ثارت بنفسك كالسعير
فهببتَ للعلياء تقفي الا عزمَ للأمر الخطير
حركٌ منالكَ فإنها فيها الشفاء من البثور
فاذا بعدتَ عن العرين فأنت باقٍ في الضمير

واجعلْ قريضَكَ بلسم الـ ... داء العياء على الدهور
عش بالرجاء فإنَّ في ... معنى الرجاء شفا الصدور
حنَّت اليك ربوعنا ... كالأم للولد الأسير

٥

تشتــاق روحك غفوةً ... بــين الخمائل والزهــور
فاذا هجعتَ فأنت بين الـ ... ناس عــارٍ من شعور
إنَّــا نريــدك باعثاً ... موتى الشعور الى النشور
ببديع آيٍ من نظيمك ... أو بديعٍ من نثير
تجني وتجمعُ ما جنيتَ ... كمثل نحلٍ في القفير
وتعود يلقــاك الحمى ... وبنوه طــرًّا بالحبور

نماذج من نثره : ويطيب لنا أن ننشر بضع قطع من نثره نقتطفها من رسائل كتبها لي فيها نفحات عاطرة من الشعور الصادق ، وتوهّج العاطفة ، وشدّة اللوعة وحرارة الوطنية ممّا يهزّ النفوس ، ويذكي الفؤاد ، نقتطف منها ما يلي : وهذه واحدة منها تاريخ ١١ نيسان سنة ١٩٤٧

ابن العم الحبيب جرجي حفظه الله

كما تقتبل الأرض العطشى وابل الأمطار فتحيي غرسها ، وتنمي أشجارها ، وتنضج ثمارها ، هكذا كان وقع كتابك الأنيس المؤرخ في اليوم الأول من الجاري على عواطفي وأشواقي وحنيني .

لقد عادت بي الذكرى الى ايام الصبا ، الى البلدة الجميلة المحبوبة بكاسين ، حيث دبيتُ على أرضها اليانعة صغيرًا ، وتسلّقتُ روابيها الساحرة يافعاً — ذكرتُ آلافاً من الذكريات العذبة — وأول ما جال في خاطري هو زفاف والديك حيث برزتُ للرقص مع الراقصين لأول مرة ، فهل ما يزالان حيّين ؟ وهذا كل ما اتمنّاه .

ثناؤك علي (الفرائد) ليس الاّ ثناءك على نفسك ، لأنها جريدتك واؤمل ان تكون في المستقبل ميداناً لعرائس أفكارك ولعبقرية الشاعر الفذّ الصديق الاستاذ بولس بك غانم ومسرحاً لشيطان شاعرية رفيق الصبا الاستاذ سليم عواد ، بلّغ الاثنين أرقّ تحياتي وأذكى شواعري .

لا أستطيع لضيق الوقت أن اكتب مطولاً عن خطة (الفرائد) في المستقبل وما تعانيه من قحط في المواد والمادة ؛ لأنني مزمع أن استقل الطائرة نهار الغد الى جنوب البلاد لإتمام العمل الذي أخذته على عاتقي ألا وهو احصاء عدد نفوس اللبنانيين والناطقين بالضاد المقيمين في جميع انحاء الجمهورية المكسيكية ؛ وعندما يتبادر الى ذهنك ان مساحة أرض مكسيك تبلغ ما يقارب المليونين من الكيلومترات المربعة ، تدرك عندئذ ما ألاقيه في أسفاري من مشقات ومتاعب ، لم يبق لانهاء العمل سوى اربع ولايات لا غير ، وسأنتهي من الاحصاء بعد شهرين ان شاء الله ، وبعد عودتي سأكتب اليك بخصوص الجريدة وعن الخطة التي سأنتهجها فيما بعد .

لقد أخذتُ منذ عهد طويل رسالة من بلبل المنابر الاستاذ يونس بك غانم أثنى بها عليك ثناء عاطراً وبشرني بمستقبل لك باهر ، فسررت بما أنتَ عليه من مقام ادبي رفيع ، وممّا قاله لي انما اخوان تربطنا روابط الدم والأدب .

وفي الختام اصافحك وابعث اليك بتحيات أرقّ من نسيم صنوبر بكاسين ، طالباً لك التوفيق ورغادة العيش .

ابن عمك خليل نصر

وهذه ثانية من رسائله يهزّه فيها الحزن والألم ويطلق زفرات حادة اذ بلغه نعي خاله في الوطن ، فيتذكّر أباه وأمّه وأخاه الذين فقدهم إبّان الحرب العالمية الأولى ، وقد أثرت في نفسه هذه الاحداث الموجعة وانطبعت في أعماقه هذه الصور المحزنة واللوعة المحرقة والعواطف النفسية العميقة فيقول في رسالته تاريخ ١٦ آذار سنة ١٩٥٠ .

ابن العم الحبيب جرجي حفظه الباري

... كنت كلما أود ان اجاوبك على كتابك الذي حمل اليّ وفاة المرحوم خالي يوسف ، طيّب الله ثراه ، ترتجف أناملي ويتولاّني التنوط ، ويستحوذ على نفسي اليأس ، وتحول العبرات دون املاء العبارات ، لأنه كان ، رحمة الله عليه ، كل ما بقي لي في هذه الحياة من أمل ، فبفقده فقدتُ لذاذة العيش والمناعة معاً ولا سيما قد فقدت قبلاً والديّ وأعزّ انسبائي ولم اتمكن أن أكون بجانب أحدهم ساعة الاحتضار لأطبق جفنيه .

فيا لله ما اقسى الحياة وأمرّ الفرقة . ثمانية وثلاثون عاماً تمرّ دون ان تمكنّي الأحوالُ في خلالها من العودة الى البلد الطيّب الذي دببتُ على أرضه، وشربتُ غزير مائه ، وتفيأت ظلال أشجاره ، وأكلت يانع ثماره .

يا عزيزي جرجي لقد ذهب الشباب وسيذهب المشيب قريباً ، وها قد امست شمس الحياة على وشك الأفول ، ولا أمل بالعودة الى الوطن الأم لإلقاء آخر نظرة على ربوعه الخلابة ، ووضع اكليل من الزهر على ضريح من رقدوا تحت التراب ، الذي ولا شك ترمقنا عيونهم من وراء حجاب الأبدية ، كل هذه الذكريات المؤثرة كانت تمرّ بمخيلتي ، فتقلق راحتي ، فينقبض قلبي من الكآبة وقلمي عن الكتابة ، اصافحك وأدعو لك بالتوفيق.

ابن عمك خليل نصر

وهذه ثالثة تنضح بالأنين وترتسم فيها معاني الحزن والأسى العميق على أثر اصابته بداء القلب ، تاريخ ٢٧ حزيران سنة ١٩٥٢ وفيها يقول :

ابن العم العزيز جرجي حرسه الله

أصافحك بكل شوق وأتمنى لك وإلى الأسرة الكريمة خير التمنّيات ورغد العيش ، إن انقطاع كتبي عنك كان ناتجاً عن مرض عضال ألمّ بي منذ سنة ونصف ونيّف ألا وهو ذبحة في الصدر وضيق تنفّس ، وقد تحمّلت اوجاعاً مؤلمة ممّا أزال في الفراش باشعار من الطبيب ، الاّ ان افكاري كانت عندك وذكرك العطر ملء خاطري ، اضمك الى صدري ولو عن بُعد معانقاً اياك حفظك الله طويلاً .

خليل

وهذه رابعة من رسائله يتألم فيها لعادات البشر واخلاقهم الذين يطربون لوداع عام مضى واستقبال عام أتى وهم يجهلون انه عام مضى من حياتهم فيقول :

عزيزي جرجي

بينما نحن باجتماع عائلي -مع بعض الأقارب والأصدقاء منتظرين قدوم العام الجديد ، اذا بعقرب الساعة يدق الثانية عشرة ، مبشراً ببزوغ العام الجديد ، فوقف القوم بعد أن اخذتهم نشوة الطرب ، شربوا الكؤوس حتى الثمالة ، يدقّون الكأس بالكأس ويشربون الأنخاب ، وهم في هرج وطرب ،

يودّعون عاماً مضى ويستقبلون عاماً أتى ؛ وقفتُ مع مَن وقف ؛ وفي العين دمعة وفي القلب حسرة ؛ وشربتُ ما حوته تلك الكأس :

وتركتُ الناس وشأنهم ، وانزويتُ في غرفتي أتأمّل عادات البشر الذين يطربون لعام مضى من حياتهم ، الذي يبعدهم عن المهد ويقربهم من اللحد ، فهم كالقرود يلحسون المبرد ويتغذّون من دمائهم ؛ لكن هذه سنّة البشر .

معايدتي اليك جاءت متأخرة ولكنها كالخمرة المعتّقة كلما طال عهدها لذّ طعمها ، وفقّك الله ابداً معافى .

خليل

وهذه خامسة من رسائله تاريخ ١٠ آذار سنة ١٩٥٤ يخفق فيها قلبه بحبّ الوطن وبالحنين الى لبنان ، مهد أحلامه ومسرح صباه فيقول :

جواباً عن رسالتكم المضمّخة بعبير لبنان وأرزه الخالد ، لقد ذكّرتني يا عزيزي جورج بلبنان وطني المحبوب ، فهو لوحة من جنان الخلد ، وحلية من حُلى الطبيعة ، فحنيني اليه حنين الساجعات الى وكناتها ، وحنين الفطيم الى لبان المرضعات ، بل شوقي الى هوائه ومائه كشوق الظامئ الى نمير الماء أو العليل الى البُرء والشفاء .

طافت في مخيّلتي ذكريات دفينة عابقة بأريج عطر الوزّال والشيح والشربين والصنوبر ، فأخذتني نشوة ما لبثت ان اضمحلّت كالضباب الذي تبدّده الرياح وتذريه العواصف ، وقد كشفت لي عن أسرار الحياة ، ومعاني الوجود ، وقسوة الدهر وغدره .

لبنان درّة المشرقين ، وتاج مرصّع باللآلى ، وغرّة على جبين الزمن ، نثر جماله على الكون فتألّق نوره وضياؤه . من أرضه تفجّرت الحكمة والمعرفة ، ومن حسنه استوحى الشعراء والمفكّرون لوحات روائعهم وبدائعهم ، وبأرضه انتصبت هياكل بعلبك فكانت احدى معجزات الفن ، ومن خشب أرزه بنى سليمان الحكيم هيكله العظيم ، وعلى شواطئه بنى الفينيقيّون السفن التي مخرت عباب اليم وانطلقت حاملة السلع والنسيج الى أقاصي الأرض بعد أن خبروا فنون الملاحة واكتشفوا نجمة القطب ، فاهتدوا بها في أسفارهم ، وقد بنوا المدن وأقاموا فيها ملوكاً ، وسنّوا الشرائع والأحكام فكانوا روّاداً وأبطالاً مغامرين

ومن أرضه خرجت الأبجدية التي هذّبت العالم ، وصقلت العقول ، وقادت الشعوب الى طريق النور والحياة ، فنشر أبناؤها معالمها قصياً ، وحملوا مشاعلها الى اطراف المعمور ، فكتبوا أروع صفحة في التاريخ .

ومنه خرج الأنبياء والرسل والمبشرون الذين تغنّوا بحسنه ، وترنّموا بذكره ، وأشادوا بوصفه فخلّدوه . وأبطال صمدوا عبر التاريخ في وجه الشدائد والملمّات فردّوا الغزاة الفاتحين على أعقابهم خاسرين وعلى أرضه غنّت الشعراء أطيبَ الألحان وأعذبَ الأناشيد ، فأفاضت في تعداد محاسنه وجمال مفاتنه .

هذه ذكريات عذبة جالت في خاطري ، فتجسّمت عندي الحياة ، وهزّني الفخر ونالني المجد ، وتضاءلت أمام عينيّ أمجاد العالم وأباطيله ، واضمحلّت من نفسي الأوهام كما يضمحلّ الضباب عند تباشير الصباح .

هذا هو لبنان يا عزيزي موطن السحر والجمال ، وموطئ أوكار النسور ، فعلى هامه ضفّروا تيجان الملوك وأكاليل الغار .

نحن في هذه الديار المكسيكية نتباهى ونعتزّ بما لنا من ماضٍ مشرق بالحضارة والاختراع والاكتشاف ، ذكريات تقضّ مضجعي ، وتلهب نفسي فتحملني على أجنحة النسيم الى ذلك الفردوس المليء بالمفاتن والمغامرات ، المعطّر بأنفاس الآلهة وأرواح النسّاك .

حين أذكر لبنان يشعر جسدي بالراحة وتحسّ نفسي بالرحمة ، فياليت أحلامي تتحقّق فأعود اليه ولو رميماً ، بعد أن آذنت حياتي بالمغيب .

لبنان وطن الأرز والخلود ، ومرتع الأبطال والآساد ، ومهبط الوحي والالهام ، ومنبع الحريّة والسلام ، ومصدر الشهامة والشرف ، ورمز الإلفة والمحبة ، هذا هو لبنان .

خليل .

مكانته الادبية : وكان الفقيد يتمتّع بين أفراد الجالية اللبنانية في مكسيك بمكانة ادبية مرموقة . وكان مواطنوه على اختلاف نزعاتهم يقدرونه قدره وينوهّون بفضله كما يتضح من بعض ما قاله فيه صفوة من الأدباء :.

قال الأديب الكبير والشاعر العبقري المرحوم الاستاذ بولس غانم :.

فُجعت الصحافة اللبنانية في المهجر بفقد ركن من اركانها جاهد في سبيلها وفي سبيل الدعوة للبنان سنين طوالاً ، لم يجتزئ فيها بعصارة قلمه ووحي خاطره ، بل أنفق في سبيل ذلك ما تملكه يداه ذلك هو الأديب الكبير الاستاذ خليل يوسف نصر .

نشأ خليل ذكياً في أحضان والديه اللذين بذلا في سبيل تعليمه جُلّ ما تملكه يداهما ، فكان عند حسن ظنهما به ، متفوقاً على أقرانه في سني دراسته وكانت حرفة الأدب قد ملكت عليه مشاعر نفسه وكان يصبو الى إنشاء صحيفة يستودعها وحيّ مشاعره ، وعصارة قلمه ، وصادق وطنيته ، ولما عجز عن تحقيق أمنيته في لبنان ، هاجر الى ما وراء البحار واستقر في مكسيك مهاجراً يلتمس الثراء والكسب كغيره من اللبنانيين ، فاحترف التجارة صادقاً مخلصاً في معاملاته ، غير لاه عن أداء رسالته الأدبية ، وأبت عليه نفسه الحرة إلاّ ان ينشئ صحيفة عربية في بلد صدق فيه قول المتنبي :

ولكنّ الفتى العربيّ فيهـــا غريب الوجه واليد واللسان

فأنشأ فيها جريدة « الفرائد » ثم مجلة « لبنان » اللتين تولتا الدفاع عن حقوق أبناء وطنه في المهجر ورفع الاسم اللبناني ونشر اللغة العربية بين المواطنين المهاجرين وذاق فيها ما ذاق من غدر القدر وحرفة القلم وانصراف ابناء المهجر عن العناية بأمور لغتهم وثقافتهم ولكنه مع ذلك ظلّ مثابراً مجاهداً بعزيمة صادقة لا تني ونفس أبيّة وقلم سيّال ، وصراحة في الحقّ ، فكانت له في صحيفته المقالات الشائقة التي تدلّ على تضلّعه من الأدب وإلمامه بشتى أساليب الصحافة الى ان توفاه الله كالجندي في حومة الوغى وقلمه بيده وثقته بنفسه وبوطنه ، فذهب مأسوفاً عليه مبكياً على أدبه الجم ، وقضى والحنين في قلبه الى وطنه الأول لبنان وأمنيته بعد موته قول القائل :

يا بني أمّي اذا حضرت	ساعتي والطب اسلمنـــي
فاجعلوا في الأرز مقبرتي	وخذوا من ثلجه كفنـــي

وقال الدكتور وليم نعمه وكان صديق الفقيد الحميم :

كان المرحوم الاستاذ خليل نصر كاتباً أديباً وشاعراً رقيقاً ووطنياً صادقاً كريم الاخلاق طيّب السريرة .

ولد في بكاسين من والدين كريمين وتلقى دروسه الأولية في مدرسة قريته وأكملها في مدرسة قرنة شهوان .

ثم عهد إليه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية في كفرحونة (جزين) وظلَّ يؤدي رسالته الثقافية الى سنة ١٩١٢ وفي هذه السنة هجر وطنه الى الديار المكسيكية وأخذ يجاهد في حقل التجارة ، فأصاب نجاحاً وتوفيقاً . وكان بين الفينة والفينة يراسل الجرائد وينشر المقالات الأدبية ، وقد غلبت عليه النزعة الأدبية فترك التجارة وأنشأ جريدة « الفرائد » العربية التي أدّت لابناء الجالية اللبنانية أجلّ الخدمات ، وساعدت على احتفاظ المهاجرين وأبنائهم بلغة آبائهم ، كما كانت خير موجّه للسياسة اللبنانية والقومية العربية ، ثم أنشأ مجلّة بالغة الاسبانية دعاها « لبنان » اشترك في تحريرها الجيل اللبناني الناشئ في مكسيك .

ومن أبقى آثاره كتاب باللغة الاسبانية نشره سنة ١٩٤٨ أسماه « الدليل اللبناني » بالاشتراك مع الاستاذ سليم عبّود يقع في أكثر من ستماية صفحة ألمّ فيه بتاريخ هجرة اللبنانيين وآثارهم في نهضة الشعوب للبلاد التي هاجروا اليها ، وقد كان لهذا السفر الثمين وقع عظيم لدى المقامات الأدبية والسياسية في بلاد المهجر .

وفيما هو يجاهد في سبيل أمّته وبلاده لرفع الاسم اللبناني وكلّه آمال للعودة الى وطنه يوماً قضى بعيداً وقلمه بيده مأسوفاً على علمه وأدبه وجهاده وصادق وطنيته .

وقال صديقه الشيخ ناصيف الفضل :

كان (الخليل) رحمه الله اديباً شاعراً وصحفياً واسع الأفق ، تخرّج من مدرسة قرنة شهوان وأقبل على تعليم النشء في مستهلّ حياته الأدبية ، ثم هجر وطنه سعياً وراء الرزق فاحترف التجارة في أول امره ولم يلبث أن فطن الى انّ رجال الأدب يتبادلون ذات النفس لا ذات اليد ، فانصرف الى الصحافة العربية وأنشأ في المهجر جريدتي (الفرائد ولبنان) عالج فيهما الأدب والتاريخ والمواضيع الوطنية التي بها حثّ مواطنيه على العودة الى ديارهم والتمسّك بحبّ ذلك الجبل الأشمّ الذي أنبتهم نباتاً طيّباً . ولم ينس أن يرجّع الحنين الى ذلك الوطن بشعر رائع نبيل ، جاء صورة صادقة لما في نفسه ، وأبت عليه الأقدار إلاّ ان يموت غريباً مشوقاً الى وطنه الأول

وسقط رأسه بكاسين التي لا تزال تعتزّ بأمثاله من الأبناء البررة رحمه الله رحمةً واسعة .

وكتب مواطنه المرحوم الاستاذ سليم عواد سنة ١٩٤٧ الكلمة التالية عنه :

الاستاذ خليل نصر عصاميٌّ لأبيه وجده ، أحبَّ العلم صغيراً وبدت عليه بين أترابه في مدرسة القرية دلائل النبوغ والذكاء فعمل أبوه بقول المسيح بع مقتناك فباعه لا ليتبع المسيح بل ليربّي الخليل التربية الصالحة الحسنة : ولم يخيّب الخليل الآمال المعقودة عليه بل تفوّق على أقرانه في المدارس التي تخرّج فيها ؛ وخرج منها متقفاً أديباً لا يملك إلاّ شقّ قلمه ، ولم يجد في لبنان مجالا لكسب قوته من ذلك القلم السيّال وذلك الدماغ المفكّر ؛ فهجر لبنان تحمله الغصّة لفراق ذويه ؛ ويحدوه الأمل بالمستقبل الزاهر في بلاد تعرف للاديب مقامه ؛ وتحفظ لمفكّريها اقدارهم : فتحقق الخليل في مهجره أمل ذويه وخلانه وأترابه وأنشأ « الفرائد » بين الجرائد يغذّيها بلبّه . وينفق عليها من دمه ؛ ولكن والد الخليل رحمه الله لم يعش ليروي ظمأه من إنتاج ولده إن فاته ان يتمتّع الطرف الجميل بطلعته ، ولكنَّ أخدان الخليل عاشوا هم يعتزّوا بخليلهم ؛ ويجتمعوا اليه بأرواحهم ، وعسى أن يكافئ الله الخليل على جدّه ونشاطه وسهره وتحصيله ؛ وأن يردّه يوماً الى بلده الذي يفاخر به ؛ ليجتلي أصدقاؤه الذين مدَّ الله في أعمارهم ، ذلك المحيّا الوسيم ، ويتمتّع طويلاً بأدبه وعلمه انشاء الله.

نماذج من شعره : وكان رحمه الله قد أتحفني ببضع قصائد — وقد أتينا على ذكرها — زاخرة بالعاطفة والألم والوفاء والوطنية ننشرها عبرةً وذكرى؛ لنخلّد بها بعض آثاره ونجنّبها الضياع .

قال يهنئ السفير اللبناني في مكسيك الشيخ خليل تقي الدين في مطلع سنة ١٩٥٤ :

يا وزير القلوب قوّم نفوساً	صوّحتها عواصف الأديان
علّم الناس أنّ ربّ البرايا	مصدر الحبّ والنهى والحنان
أرسل الأنبياء هدياً لقوم	قد أضاعوا وديعة الايمان
ذاك أعطى الغواة انجيل صدق	ثم لاحت بشارة القرآن
فانتشى الكون بالمروآت تسري	بانتظام وراحة وأمان

يا (خليل) انقلوب أرهف يراعاً قد سرى الجهل في بني الأوطان
قل لقوم على الضغينة ناموا ان يفيقوا، فكلهم لبناني

وقال في وداع سيدة كريمة زارت لبنان بعد غياب طويل وقد كانت معجبة بجمال وطنها ومفاتنه :

يا ابنة المجد والجمال النبيله أيّ شيء سواك اجدى «وسيله»
انت في الدار بسمة في شفاه انت في الروض زهرة للفضيله
يوم طار البساط فيك عرفنا لوعة البعد في نفوس عليله
قد وقاك الرحمان من كلّ شرّ وحباك الحياة دوماً طويله
لا تُطيلي الفراق عنّا وقولي يا ليالي الفراق كوني قليله

ونراه يثور غاضباً عاتباً لانقطاع الوفاء وتبدّل الاصدقاء فيودع غضبته وعتبه ابياتاً من الشعر ينبع منها الحزن ويفيض الألم ؛ فيقول في قصيدة عنوانها اين الوفاء ؟

اين الوفاء لقد ثوى كالزّهر في حرٍّ ذوى
بالأمس في عهد الصبا كنّا يطيب لنا الهوى
فتبدّلت أيامنا والحزن قد شلّ القوى
أيام حزن قد مضت لم يروها راوٍ روى
فالقلب مزّقه الأسى والحبّ غُيّب وانطوى
والغصن بعد غضارة قد جفّ ماءً والتوى
نزّت جراحي بالأسى وجزعتُ من فرط النوى

ويسترسل الشاعر في تشاؤمه ويعالي يبثّ شكواه وألمه فيقول في قصيدة أخرى تحت عنوان ، اين الصداقة ؟وما أصدق قوله :

لهفي على تلك الصداقة قد ذوتْ ومحى الزمان رسومها وسماتها
وبدت تنوح وحيدة في مهجة حرّى يقطّع دمعُها نغثاتها
دُكّت معالم حسنها وحماها نثرت على رمس الوفا عبراتها
أسفي على عهد قديم غابر ولّت به الأيام في غدراتها
ذبلت محاسنها وجفّ معينها وعفت مجالي الأنس في ربواتها
تلك الصداقة قد هوت من حالق يا ليتها ظلّت على دوحاتها

ثم نراه وقد هزّه الشوق الى الجبل الأشم، ومرّت بخاطره ذكريات طفولته وصباه، واشتدت عليه كربة الغربة وطول الحنين الى الوطن، فيقول معبّراً عن عواطفه الوطنية وشعوره الصادق في قصيدة عنوانها (ذكرى الوطن):

وطني وفيه الذكريات صبوحي ... وضياء برء للعليل وروحي
قد جال في قلبي خيال بهائه ... بين الربى ووهاده وسفوح
والشوق يملأ في البعاد حشاشتي ... فتفيض آلامي جوىً وجروحي
كم بتّ والليل البهيم مسامري ... والذكريات عن الصبابة توحي
والعين تدمى ثم تذرف دمعها ... من جفن مُعتلّ الفؤاد جريح
وطن الخلود مكلّل في تاجه ... للمجد يوم كريهة وفتوح
أصبو لأيام الطفولة والصبا ... وحنان أمّ بالرشاد نصوح
ومحبة تترى كبحر زاخر ... وبشاشة لاحت بوجه صبيح
يا ربّ ارجعني لدار أحبّتي ... فأنام مرتاح الحشا بضريحي

وهذه أبياتٌ من قصيدة نظمها الشاعر في اثناء الحرب العالمية الأولى يتفجّع فيها على ما حلّ بوطنه العزيز ويتألّم مما أصاب بلدته من ظلم بعض المواطنين الجشعين. وقد تمثّلت في مرآة خاطره صور دامية عن هذه الحرب رسمها في بعض ابيات هذه القصيدة قال:

نزل البلاء بموطن الأجداد ... فسرى الأسى في القلب والأكباد
خطب جليل عمّ آفاق الورى ... دكّ الجبال وشامخ الأطواد
وطني جُعلتُ له الفداء عدت به ... من دهره وبنيه شرّ عواد
لم يكفه ظلم أطاح بأهله ... حتى أصيب بطغمة الالحاد
هم شاركوا السفّاح في سفك الدما ... وتفنّنوا في الظلم والإفساد
وهمُ اجاعوا الأقربين فأصبحوا ... شرّاً من الاعداء والاضداد

وله قصيدة يصفُ فيها مناظر لبنان الخلابة ومياهه المتدفقة ويستعيد بها ذكريات صباه ومآثر آبائه:

لبنان فيك ترعرعتْ أجدادي ... وعرينهم أضحى يذاك الوادي
تركوا المكارم والمآثر والعلى ... ومفاخر الأعمال للاحفاد

حملوا الفضائل كالأزاهر عَرْفها فكأنها البسمات في الأعياد
لبنان يا وطن الأسود وموئلاً في وجه كلّ مكابر أو عادي
بسقت غصونك في الجنان جميلةً يا حسن أغصان على أعواد
أبناؤك الغرّ النوابغ قد غدوا في كلّ صقعٍ كالشّعاع الهادي
ومروجُك الخضراء جنّات غدتْ سلمتْ مباهجها الى الآباد
يا ما أحيلى شمسُ صيفك إنّها بَرْدٌ على الأرواح والأجساد
من ارضك انبثقت مصابيح الهدى وبفضلهم كلّ العصور تنادي
من كلّ هزّاز القناة وعالمٍ وكريم نفسٍ في الورى وجواد
هيهات أن ينسوا البلاد وعهدها ومرابض الآباء والأجداد
إن يهجر الأوطان منهم نزّحٌ فبذكرهم أضحى يشيدُ الشادي

٥

لبنان سبحان الذي خلق الورى أضحى جمالُك مُنية المرتاد
تفنى الدهورُ وتنطوي آياتُها وبديع حسنك ملء كلّ فؤاد

٥

لقد انطفأ نور هذا الشاعر بعيداً عن الوطن الذي أحبّه، وغاب عن العيون شعاعه وضياؤه، وفي قلبه حسرات، وعلى لسانه عظات: فذهب مأسوفاً على أدبه، مبكيّاً على شبابه.

بكاسين — لبنان

جرجي ابرهيم نصر

المسيحي امام العناية الالهية

ما يقوله لنا الايمان وما نراه فعلاً

للأب جستين ساله اليسوعي

ترجمه

الأب جبرائيل عتيقي اليسوعي (†)

ان الله حاضر في كل مكان ، وإلا فلا يكون إلهاً . هو حاضر في العالم ، وفي الحياة البشرية ، يهيمن على أحداث التاريخ عامة ، ويسهر على كل كبيرة وصغيرة في وجودنا . وإثبات وجود إله شخصي إنما هو إثبات لوجود العناية الإلهية وإثبات لأن الله يرى كل شيء ويريد كل شيء ، بحكمة وقدرة ومحبة .

غير ان هذه الحقائق ، على صحتها ، قد يخالفها الواقع مخالفة صارخة . فيظهر لنا هذا العالم فاسداً في جوهره ، مؤذياً في أحداثه . فالفوضى فيه شاملة . والله الواجب ان يكون حاضراً دائماً في كل مكان ومتسلطاً على مجرى التاريخ البشري يشعرنا بانه كثيراً ما يكون منصرفاً عنه ، كأنه ، وهو التدبير ، متغاضى عن الشر أو مواطئ عليه . هذا الاب الذي يجب علينا أن نراه ساهراً على خيرنا ، نراه غير مكترث لنا ، وقليلاً ما يهتم بمصاعبنا وأحزاننا وآلامنا .

ويحتج الزنادقة على مسلك هذا العالم الغريب المضطرب ، يحسبونها حجة قاطعة حتى لينكروا وجود الله ويجدفوا على اسمه كمن يسمعنا الكتاب

تضاحكهم وقولهم : « أين إلهم ؟ — ليس إله » (مز ١٣—١٤). وكسترهال وتجديفه في قوله : « عذر الله الوحيد أنه غير موجود ».

إنّا ليغضبنا هذا الإنكار وهذه التجاديف. ولكن ما العمل وهناك أمور غامضة تغشى هذه المشكلة، أو بالأحرى أمام هذا السر. لان العناية ليست مشكلة بل هي سر. ولسنا نبحث عن جواب لحل هذه المشكلة، لكي ننتقل الى غيرها، بل غرضنا أن نعرف الموقف المسيحي الذي يتطلبه السر بنوع دائم.

سر لا مشكلة : أعني اننا لا نرضى أبداً أن نعد العالم الجسماني والروحاني جهازاً محكماً ركّبه الله وترك لنا أمر البحث عن معرفة تكوينه... فإن فولتر، وليس بمعلم كنسيّ ولا هو بفيلسوف كبير يقول : كلما أنعمت الفكر، شق علي أن أعتقد ان هذه الساعة قد وجدت من دون ساعاتي.

وتمكن فولتر أن يبرهن بصورة بدائية على وجود الخالق من وجود المخلوق، غير أن الصورة باطلة : إذا ألفت في روعنا أن العالم هو جهاز دقيق يدور بلا صرير ولا مفاجآت منكرة. فالعالم ليس ساعة ولا الله ساعاتي. العالم جوهرياً هو عالم البشر، مع مفاجآت غير منتظرة. والعناية شيء آخر غير الإشراف بارتياح على دورانه المنتظم.

فاذا أردنا أن نرى صورة صحيحة للعناية : فلا نطلبها من الفلسفة بل من الكتاب المقدس، فهو يوحي إلينا بأن العالم البشري بجملته وبمصير كل منا فيه إنما هو رواية يمثلها الله بطرق محيرة مدهشة.

الذي يتكلم ويعمل ويملك

ان التوراة تصرح عن الله، بكثير من التأكيدات الأساسية، وهي بذاتها قاعدة تعليم العناية.

هذا الإله الحي، هذا الخالق الذي هو في داخل الخلق لا يبرح يعمل ويمنح جميع الكائنات الحياة والقدرة على العمل، يسخّن الأرض بالشمس المشرقة، ويثير الزوبعة من قلب الريح، ويخصب الأرض بالمطر

يوزعه على الأرجاء ، هذا الإله الحاضر في كل مكان من العالم الطبيعي (عاموس ٤) الذي يدعوه الفلاسفة العلل الثانوية ولا يأخذ بقولهم الكتبة الإلهيون : هذا الإله هو بأولى حجة حاضر وعامل من صميم القصة البشرية. وليس العالم المادي الا الفرصة او المسرح والزخارف . وهذه المأساة المتعددة الفصول لم يكتف الله بان يبني مسرحها ويؤلف روايتها ويدرّب ممثليها . وانما هو تعالى الممثل الأول الذي يسيّر مجرى الرواية من مقدمتها الى ختامها.

هو نفسه دعا ابرهيم جد الشعب الاسرائيلي وجدّد ووجّه بهذه الدعوة كل التاريخ المقدس ، ملحمة الشعب المختار . هو الذي أغرى فرع يعقوب ان يقيم في مصر ، حتى اذا ما جار عليه فرعون أصدر إليه بلاغاته فأرغمه باساليب رهيبة أن يراخي من ضغطه ، ثم اجازهم من العبودية الى الحرية . وكان هو الدليل لتلك القافلة العظيمة في صحاري سيناء : يموّنها في المجاعات ويرويها عند الظمأ . هو الذي فتح أرض الميعاد : قائداً شعبه بنفسه : هو الذي يحكم ويملّك باختياره الملك شاول ويستبدل به عند معصيته داود . هو الذي أطلق أقدام الغزاة على اسرائيل عقوبة لهم على كفرهم . وعندما كانت الامم الغريبة المنفذة لقضائه تفتخر مستكبرة بانتصارها ، كان ينبذها ويسحقها نبذ النواة (اشعيا ١٠) هو صانع الحرب والسلم .

وإنا نجد هنا إحدى فكر العهد القديم الأساسية : بخلاف ما كان ينسب الى آلهة الوثنية من القدرة الهائلة وما لا يذكر لهم من سيرة حسنة — اولئك الآلهة الذين كان واجباً أن يخشاهم البشر كالوباء او كالضواري ، دون ان يكون لهم أقل احترام — أما إله التوراة فهو القدّوس ومن لا يقدر الانسان بسبب ذنوبه أن ينظر اليه ويبقى حيّاً (اشعيا ٦ : ٥) وبينه وبين الشر تناقض مطلق : ومما يلاحظ أنه اذا كانت المسافة بين الله والانسان غير محدودة : فهل ذلك لكونه تراباً أم لكونه رجاسة وخطيئة .

ومن الواضح ان رب العدل والقداسة يجب أن يدخل في التاريخ لينصر القداسة والعدل .

دهشة النفوس أمام أحداث العالم

نظرة الى ما في التوراة نفسها. فبجانب ما تثبته عن الإله القدير العادل القدوس والطيب القلب ؛ وبجانب ما تعلمه عن فعله الفعّال في العالم ، يتردد صدى فضائح النفوس ، في جوانب التاريخ البشري ، كما نراه في واقع الخال من تراكم الظلم والفوضى والعنف .

فهذا الشعب المحبوب من الله وقد خصّه بكثير من العجائب لم تتحقق له المواعيد الإلهية ؛ الشعب المختار الذي الله سوره وصخرته وحصنه المنيع ، قد حطّمه أعداؤه ؛ فهو هدف النكبات الهائلة . لا شك أن هناك جواباً يخطر تلقائياً على البال وهو « ان ليس الله الذي أخلف وعده بل نحن المخلفون . لاننا لم نقم بما يجب علينا ، وتلك هي خطيئتنا العظمى » .

لكن هل يكون الفائزون أبراراً ؟ أليسوا مجرمين شرّاً من ضحاياهم ؟ أما تكون عاقبة فوزهم للمزيد من تصلبهم في كبريائهم واستحالة ملك الله على نفوسهم ؟ اما ان انتصارهم هو انكسار لله ؟

نجاح الأشرار وشقاء الأخيار

وإذا فرضنا أن ما ينزل بالشعوب من البلايا انما هو بسبب كفرها بالله ؛ فكيف نفسّر مآسي النفوس الفردية التي تبدو لنا كألغاز مخزية . منها تمسكنا بمسألة التضامن بين الفرد وبيئته فلا يسعنا إلاّ التسليم بالمسؤولية الشخصية : فالانسان لا يؤاخذ إلا بما أتى هو نفسه من الذنوب . وكم نرى في كتب العهد القديم من الحقائق المدهشة عن يسار الأشرار وبؤس الأبرار .

لقد كان ينتظر بحسب قوانين العدل أن ينال الخادم الأمين من السيد الكريم أجرًا من السعادة الأرضية جزاء تفانيه في الخدمة وان ينال الشرير العاصي عقاباً عاجلاً رادعاً . ولكن يا للخيبة ! فكثيرًا ما يحدث العكس . مشكلة رهيبة تصطدم بها الضمائر المستقيمة فتزعزع جوانبها . « أمّا أنا فأوشكت قدماي أن تزيغا اذ رأيت سلام المنافقين . فإنهم لا أوجاع لهم الى الموت وأبدانهم سمينة ... إذن باطلاً زكّيت قلبي » . وكنت مضروباً بالنهار كله . (مزمور ٣٣) .

مخاصمة الضمير المستقيم الغامضة

ما ملحمة ايوب الا المخاصمة الغامضة للضمير المستقيم ، تجاه عالم يهزأ فيه النجاح والإخفاق من الفضائل والرذائل ؛ هي مسألة نفس وتُنهى تجادل إلهاً كأنه يحارب الصدّيق أيّ حرب . هوذا أيوب مفجوع بماله وولده ومضروب بجسده . هو في محنة لا تحسبها الا عقاباً ، وهو يحاول باحثاً مخلصاً ولا يرى أنه مذنب . ثم يفكّر في مجرمين مشهورين يعيشون سعداء لا تصل المحن الى حصونهم . ويابى الآ ان يدحض وهو غاضب كل حجج أصحابه في سعادة الأخيار وشقاء الأشرار . يحسبون أنهم يعزّونه بكلامهم وما كلامهم الا سخرية وإهانة . وحينما يعجز عن حلّ المشكلة يتركها عن حكمة عرضة للبحث ؛ ولا يجدف بل يتكل على هذا الإله الذي لا تدرك أحكامه (أيوب ٤٠ : ٤٢) .

هذه بطولة تقضي منها العجب وتشاهد عند كثيرين من رجال العهد القديم شبهاً لها . لقد وجدوا أن هذا العالم الذي يدبره الله ليس فيه نظام ولا عدالة ؛ فوقفوا إيمانهم كله ورجاءهم كله للبحث عن تبريره تعالى ؛ ورفضوا رفضاً قاطعاً ما عرض لهم من الحلول المقوية مثل : عجز الله ، وظلم الله والصدفة . وانجلت لنظرهم تفاهة كل ما خطر ببالهم من الأجوبة : نجاح الأبرار الظاهر وعقوبة الأشرار (الجامعة ٩ : ١٠) وارتادوا ما لم يكن واضحاً : كانتظار حياة أخرى ، وعاقبة مصلحة ، وتفسير روحي لكل مواعيد الله لاسرائيل وفهم لما يقاسيه البار من العذاب (اشعيا ٥٣) حركة تعليمية ترفع النفوس وتزيدها استنارة .

وكل ما تقدم لم يكن إلا أضواء ضئيلة تسير النفوس عليها تحسّساً في ظلام السر ، مع تيقنهم وجوب تجنب مجادلة الله لا كما حدث لأيوب . فالعبادة في الصمت هي الحب العظيم .

الله في العهد الجديد

كأن العهد الجديد يسدل أستاراً جديدة على ظلمة السر . فانه لا يترك حرفاً من الشريعة يسقط ، ويثبت ان الله كلي القدرة وأنه الحكمة

غير المحدودة والعدل السامي . وإذ جاء لكي يكمّل الوحي فقد بيّن بكل وضوح سرّ الجودة الإلهية التي طالما هزّ النفوس ذكرها في صفحات كثيرة من العهد القديم . ان الله أب وليس شعب إسرائيل وحده بجملته ابنه ، بل كل انسان من البشر . وعنايته تعالى ساهرة على جميع الكائنات المخلوقة ، من العصفور الى زهور الحقول ، ولا سيما البشر أعزّ بنيه ، فلا دقيقة من دقائق حياتهم تغيب عن حنانه ولا حادث من الحوادث يمكنه أن يمسّهم بدون سماحه : « شعور رؤوسكم محصاة » (متى ٢٠ : ٣٠).

هؤلاء البشر الذين يحبهم ، إنه يريد خلاصهم ، ولم يرسل الى اسرائيل وإلى البشرية أحداً منهم ليحررهم بل أرسل ابنه الوحيد « هكذا أحب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد » (يوحنا ٣ : ١٦) فازاء هذا الدليل على الحب كيف لا نؤمن بالحب ؟

إخفاق الله

ولكن بعد التسليم بكل ما تقدم ، نرى أن المساعي الإلهية قد أخفقت ، والصعوبة زادت ، اذ لسنا كالعهد القديم ، أمام مواعيد متعسنة وآمال غليظة ، بل صرنا في جو روحي وفي عهد الخلاص .

واول ما يظهر للعيان هو الإخفاق أو سلسلة من فشل القدرة الإلهية والجودة الإلهية . لان الفساد ما زال شائعاً ، والمخلص الذي كانت البشرية تنتظره وأجيال من الأشواق قد تهيأت لمجيئه ، كان واجباً أن تستقبله بمظاهر الظفر ، ولكنه اصطدم بعداء وبغض لا يلين . واسرائيل الذي كانت دعوته وعلة وجوده أن يستقبل المخلص قد جحده جحوداً فظيعاً . شعب الله المختار قتل ربه وما كان قد أعدّ لخلاصه أمسى حكماً عليه بالهلاك .

والبشارة الجديدة حين ذاعت بين الشعوب الوثنية أثارت موجة من الغضب ، فالعالم الوثني بجملته لم يقبل عليها والمبشرون بالمحبة راحوا ضحية البغضاء .

وما زالت قصة المسيح المحزنة مستمرة . فالكنيسة على ممر الأجيال مضطهدة ، لا يتوقف اضطهادها برهة ، حتى تقوم العقبات في سبيل أعمالها .

فالله المنهزم في هذا العالم كما قبل. أليس التاريخ ولا سيما التاريخ الحديث مملوءاً من الجرائم والتعدي على الله وعلى الانسانية، هذه الانسانية التي يحبها الله؟ اما رأى العالم قادة شعوب اغتصبوا الحقوق وداسوا الحريات وتحدّوا الله نفسه؟ أليس مؤكّداً أن الأقوياء هم الذين يتحكّمون بمقدرات العالم أياً كانت قيمتهم الأدبية أو حقارتهم. كم من شعوب مستضعفة مقهورة لأنها ضعيفة، رغم ما عندها من الكرامة وحب السلام؛ وكم من دول تجاهر بالكفر وهي تتمتع برفاهية هي محسودة عليها، إمّا لما تملك من موادّ أولى وإمّا لكثرة سكانها.

وكأنه تعالى أمام هذه المأساة لا يحسّ بشيء؛ فهل يبقى صامتاً كما كان يوم جمعة الآلام المقدسة، حين ارتفع نحوه ذلك النداء المؤثر: «الهي الهي، لماذا تركتني؟» (متى ٢٧: ٤٦).

سرّ العناية

على أنه في هذه القصة المقدسة التي ظاهرها قليل القداسة والتي تواصلها قصة الكنيسة المعذبة يجب علينا أن نفهم ونحلل بعين الإيمان ماهيّة العناية.

لان طرق العناية لا تدرك إلا بالإيمان، فيمكن بدون شك وبكل تأكيد اثبات وجود العناية من اثبات وجود إله ذاتي وخالق، ويمكن بواسطة اعتبارات عقلية إزالة بعض الاعتراضات او التقليل منها، ويمكن إظهار المضحك المبكي في هذا الانسان الحسير النظر، او الأعمى الذي يريد أن يحكم على غير المحدود والبعيد كل البعد. ويمكن باظهار غباوة هذا المخلوق الزائل حين يريد أن يحكم على تاريخ الدهور. فيستحيل فهم هذا الكتاب من مطالعة بعض كلمات منه.

«هذا الكتاب يكتبه الله معنا بأسطر قصيرة أو طويلة... ولا يبين له معنى إلا عند نهايته». وفي هذا التاريخ الذي يبدو غريباً خالياً من الله او مستقلاً عنه، يسترعي النظر فيه مرور الله به من حين الى آخر بتدخله احياناً تدخلاً باهراً يقول فيه: «أنا الرب»، كما جرى في تاريخ بني اسرائيل حين أنقذهم من يد فرعون وحين اعادهم من سبي بابل، وكما حدث في

تاريخ الشعوب بعد المسيح اذ كان يعقب انتصارات الأشرار الشائنة انكسارات عاجلة وانهيارات فاصلة .

ليس من السهل الوقوف على دقائق العناية كلها : فحسبنا أن نصدر فعل إيمان ونستوحي حقائقه العظمى .

اصول السياسة الإلهية

اذا شئنا ان نتصور عمل الله في تاريخ العالم وفي حيواتنا وجب أولا ان نكرر ونؤمن حق الإيمان أن التاريخ الحقيقي إنما هو تاريخ النفوس وان المآسي العظيمة في تاريخ الحروب والانقلابات الاجتماعية والاقتصادية ليست الا علة او تعبيراً او تخريجاً او نتيجة للمأساة الحقيقية التي تمثل في أعماق القلوب . ان الله يريد مخلصاً يخرج من شعب من الشعوب ويريد الخلاص هدية لجميع النفوس . فالتاريخ الحقيقي تاريخ ديني هو تاريخ النعمة : وهو جوهرياً سر خفي يفوتنا أهم ما فيه الاّ بعض علامات نبني عليها تخيلاتنا . لكن يجب أن نؤكد ان اشتغال الله — ان صح هذا القول — هو أن يمنح النعمة للبشر، لجميع البشر . فكيف نتهمه بالحياد وعدم الاكتراث ، ونحن نعتقد أنه لا يبرح يعمل في قلب المأساة يكلّم الانسان في باطن ضميره ويقدم له كل حين النور والقوة .

لكن تاريخ النعمة هو بدون شك تاريخ الحرّية البشرية ، تجاه النعمة. فنحن هنا في النقطة الأساسية ، لأن الله وهو حرّية وحب لا يلتفت إلا الى الحب والحرية . وليس للعالم عنده قيمة ولا نفع إلاّ لما فيه من الخلائق الحرة الجديرة بأن تحب حرةً ، وتبلغ غايتها . والذي يجعل للعالم قيمة ليس ما فيه من العجائب المتناهي عظمتها أو المتناهي صغرها ، وان أدهشت العلم . بل الذي يجعل للعالم قيمة إنما هو الانسان . والذي يجعل للانسان قيمة انما هي حرّيته ، فتيها شرفه لأن فيها مشابهة لله . والله الذي اخترع حبه هذه التحفة بخلقه خلائق حرة ، قد ارتضى أن يحتمل مسؤولية عاقبتها. فيلزم أن تكون الحياة امتحاناً للانسان معداً لإظهار ما في نفسه ، امتحاناً يختار به الله ، عن حب إذا شاء ، وتقوم السياسة الالهية في مدة هذا الاختبار بتأمين ما يلزم من الضرورات حتى يتم بأمان وسلام .

فهناك قدرة الله وجودته ، ونعمته ، وهناك حرّية الإنسان وإمكان خطئه : هذه هي أركان السر والعناصر التي تتخلل المأساة وتفسّر ما يحدث فيها من انقلبات لتحيّر من يتوقف عند المظاهر .

ان لله أن يتأنى في أعماله ، لأنه أبدي . فهو يترك الشبكة تمتلئ من جميع أصناف السمك ، واذا أتاه الخدام مضطربين قائلين : «يا معلم : لقد نبت الزؤان في حقلك بين الزرع الجيد فيجب قلعه !» فانه يهدّئ من روعهم بقوله : «الانسان العدو قد بذر الزؤان بينما كان الزراع نائمين». أمّا هو فلا ينام رغم الظواهر ، ويعلم أنه لا يضيع شيء . ان الله يرى زمن الحصاد ووقت التنقية . هو رب السفينة ، يلقي في البحيرة شبكته الواسعة ولا مهرب منها ، فتهيج الأسماك في حبائلها ثم لا تلبث أن تنحصر فيها ، فيسحبها سحباً شديداً الى شاطئ الابدية وحينئذ يميز الأخيار من الأشرار.

ان الله له الزمان ، وهو يريد أن يكون للانسان زمان وفرص وامكانيات. فقد تحدث تقلبات لا يتوقعها البشر ، وهي غير خافية على من «يعلم ما في الانسان» ويعلم ما في النعمة . ولا يمكن أن تصبح السمكة الرديئة جيدة في شبكه الصائد ، ولا العشب البرّي في الحقل قمحاً ، ولكن المجرم الأثيم قد يصير قديساً بل قديساً عظيماً . فالله يعلم ذلك كل العلم . فتأنّيه صبر وصبره صورة من حبه ، والاّ فكيف يحب الانسان الا حباً صبوراً . وهذه الأناة الالهية أبعد من ان تكون قصوراً وقد تبلغ نتائج عجيبة ، لكنها تظل سرّية . فقد أوحى الينا الانجيل بارتداد اللص الذي تدعوه «لص اليمين» وكم نرى بجانب هذا اللص السعيد من اللصوص الذين يملؤن جوانب السماء .

ان انتصار النعمة يقوم باستمالة الروح لا بسحق المعارضة . والله نفسه يجتنب طرق العنف وأساليب الاستبداد والإرهاب لئلا يعوق اختيار الانسان الحر . فهذا الاسلوب اللطيف قد يتسبب عن ضرورة خرق النظام . فلو كان القصاص ينزل سريعاً بالمخالف لأوامر الله ، ولو كان السارق وكل مستغل يعاقب حالاً بمصادرة امواله وكل زان يضربه بموت زؤام وكل دنس يصاب بداء عضال لحفظت الوصايا السادسة والسابعة والتاسعة أحسن الحفظ .

ولكن هل يصير الناس شرفاء واطهارًا حقاً ؟ ولو كل لصوصية دولية وكل حرب ظالمة وكل وحشية يقوم بها شعب طماع يحل بالقائمين بها انتقام سريع . من مجاعات وأوبئة فتاكة . لساد في الدنيا ، ولا شك ، نظام بديع : فهل يكون بين الناس لذلك اتحاد أشد واحترام للعدل أعم ؟

هل يمسي هؤلاء العبيد المروّعون : المتصاغرون ، اللاصقون بالتراب أحسن عبادة لله ، لأنهم لا يثورون ؟ وعلى كل فليس هذا رأي من يهمّه الامر. أعني الله نفسه : كما يقول عنه بيجي بلغته المألوفة : « هؤلاء عبيد وما شأني وشأن العبيد ؟ ومن ذا الذي يريد أن يحب او أن يحبه عبيد ؟ لقد أردت ما بين خلائقي الحية شيئاً أفضل أردت أكثر ، أكثر جداً ، أردت الحرية ، خلقت هذه الحرّية » .

الله يتصرف في التاريخ

ان الله لا يتخلى عن حكمه . فهو رغم حكمه وتأنيه إزاء حركات الإنسان الجامحة وأمام مجرى العالم المتنافر ليس ساهياً البتة ولا هو أعزل ، حتى حين يلوح أنه متغافل لا يبرح يدير كل شيء ويبلغ به الى غاياته الإلهية . والدليل على قدرته أنه يترك البشر يعملون ثم يستخدم أعمالهم الحرة لإنجاز ما يريده حبه لهم . وهو كفنان عظيم يسخر من صلابة المادة ومما يكلفه الفن من المشقة ولا يرى إلا وسائل طيّعة لاتمام طرفة من الطرف . إنه لا يعرقل تدابيره جنون البشر ولا خطاياهم بل يجد فيما يحدثون من النكبات أسباباً جديدة للنعم وللخلاص أسباب انتصار لمن يحبونه ويريدون أن يحبوه .

أضواء على الماضي

إن نظرة الى ما مضى من التاريخ الديني ترينا نجاح الخطط الإلهية . فالقديس بولس قد عرف بدهائه وقوة إيمانه ان يميّز ما بين خرائب الزمان وأهواله ، ملامح تاريخ النفوس الذي أراده الله ونظمه .

فخطيئة العالم ــ هذه الكتلة الكريهة التي تزيدها الأجيال ثقلاً على ثقل ، هذا العار الذي يتسامح الله بالصبر عليه ــ كانت لازمة لاعداد القلوب للفداء ، ولجلم ما أغلق عليها من الكفر ، ولإثارة شوقها الصادق الى المخلص (رسالة بولس الى الرومانيين ١١ : ٣٢) .

وانكسارات اسرائيل المتتالية وخيبته في سياسته الوطنية والزمنية كأنها تعارض المواعيد الإلهية . فهذه الانكسارات كانت أمرًا ضروريًا لكي تستطيع النفوس الفضلى على الأقل أن تفسّر تلك المواعيد تفسيرًا روحيًا وتتصور الخلاص تصورًا صحيحًا .

ثم انتصار الشر في آلام المسيح – هذا الانتصار الصاخب ، المعيب البالغ أقصى الخشونة – قد كان الوسيلة العكسية للخلاص ، وقد عدّه بعض آباء الكنيسة الفخ الذي وقع فيه مخترع الفخاخ الرهيب . فان الشيطان محرّض اعداء المسيح لم ينل من هذا الموت الشائن إلاّ ان يجعل المسيح غالب الموت علة الحياة للبشرية المفتداة .ان موت المخلص من قتل الموت وجبه أمات الحقد الذي كان محتدماً عليه .

وجحود اسرائيل ، هذا الاخفاق الجسيم لمقاصد الله ، الجحود الذي تحطم عليه عقل القديس بولس وقلبه ، أن ينكر الشعب المختار دعوته ، هذه الحماقة المخجلة قد بان الغامض منها منذ شرع الوثنيون يقبلون البشارة وينضوون تحت راية المسيح . « إن عمىً أصاب جانباً من اسرائيل الى أن يكون قد دخل ملء الامم » (رومانيين ١١:٢٥) .

ومثله الاضطهادات العنيفة في الأجيال الأولى حين جنّدت الدولة الرومانية كل قواها على الكنيسة فكانت تلك الاضطهادات أنجح الوسائل لانتشار الديانة المسيحية ولانتصار الكنيسة على الامبراطورية .

وصف احد السياسيين حرب ١٩٤٠ بأنها « حرب الفرص الضائعة » أو ليس تاريخ البشر جميعه تاريخ فرص ضائعة ؟ حاشا السياسة الإلهية فانها تاريخ الفرص المتتابعة بلا انقطاع ولا ضعف . وحيثما نحسبها ضائعة فاذا هي محددة وأكثر جمالا . ان الله أمين يتقيّد بعهوده دائماً ويفي بوعوده فوق ما نتصور من الوفاء .

كيف عامل الله ابنه

ان ما يصدق على أحداث التاريخ الديني جملة يصدق على مصاير الأفراد . اما إن غاية التاريخ اليهودي وتاريخ الكنيسة أن يرمزا الى حياتنا

وتمثلا تاريخنا نفسه ، ولا سيّما حادث المسيح المثالي الواجب أن يفهمنا مذاهب العناية في حيواتنا .

فالآب الذي لا يدعه أبداً وحده ، الآب الذي يعلن على الملأ أنه ابنه الحبيب ، كأنه غير مكترث له ولا مهتمّ بان يسهّل حياته ويمهّد طريق رسالته . فيسوع يواجه الاضطهاد طفلاً ويلجأ الى الهرب لينجو من الموت ، ثم يحتاج في الناصرة الى يوسف ليعمل وبقوته الى أن يتمكن هو من كسب معاشه بعرق وجهه . ولم يقدّم له الآب في حياته الرسولية ما عرض عليه الشيطان من وسائل النجاح البشرية التي كانت تمهّد الامور ، ولا أنزل الصواعق انتقاماً من تلك المدن التي لم تقبل المسيح ولا تطوعت في بستان الزيتون أية فرقة من الملائكة لتمنع اليهود من القبض عليه . وظلت السماء فوق صليب الجلجلة صمّاء بكماء ، لم تنبس بكلمة ترد بها تحدّي أعدائه . « يدّعي أن الله أبوه فلينقذه » (متى ٢٧ : ٤٣) .

إخفاق صارخ

ولكن من يؤكد أن مصير المخلص يكون أجمل وأقدس لو أنه نجح نجاحاً بشرياً . فلم يعارضه أحد أو لو أنه سحق المعارضة بالقوة الإلهية ، فلك ملك جبار على رعية ذليلة تحت سلطانه ؟ من يظن ان ابن البشر يكون أجمل واجذب للنفوس لو لم يرسم بالجراح التي استحالت ندوب نور ؟ أو أن خلوداً سليماً كان أمجد له من اجتياز الموت والقيامة ؟

فخروج المسيح من القبر في فرح الفصح وصيرورته بمجده مبدأ حياة وخير روحي ذلك هو الدليل البيّن على أن الله قادر أن يجدد كما هو قادر أن يخلق وذلك هو النجاح التام للخطة الإلهية أن تفوق الحدود فتصلح وتعيد الشيء خيراً مما يمكن توقعه أو يرجى تصوّره .

كيف يعامل الله بنيه

ليس المسيح مثالا فقط لنا بل هو قدوة ، وليس أسوة فقط بل هو بداية وسبق ، وما مصيره الا رمز لمصيرنا وحياته رسم لحياتنا ونحن بالابن الوحيد أبناء محبوبون

غير أن العناية لا تمهد لنا بالعجائب سبيل السماء والمجد ولا أمر مصيرنا ومصير المسيح ؛ وان يكن تدخّل الله ومروره في حياتنا أمراً غير ممتنع . فإن في لورد وفي غيرها من المعابد عجائب ولكنها عجائب عارضة : فقليلون الذين يشفون وكثيرون الذين يعودون الى ديارهم محمولين ؛ وهذه العجائب على قلتها هي دلائل يقول الله لنا فيها : « ان هذه الأحداث غير المألوفة يجب أن تفهمكم أني أتدخل في حياتكم . رغم الظواهر ، واني في كل لحظة أعمل بنوع خفي أعمالاً فعّالة ؛ وهذا الدليل الحسي ينبغي أن يفهمكم اني أحبكم دائماً .

وكأن الله في غير هذه الظروف النادرة يترك الأمور تتبع مجراها . فقوانين الاقتصاد والسياسة تؤتي ثمراتها بلا تمييز ؛ يستغلّها أحباء الله واعداؤه معاً اتفاقاً او اجتهاداً ، وتشملهم الأزمات وتسحقهم النكبات على السواء ؛ فالمؤمنون غير محصّنين ضد المرض والفقر والعذاب والاضطهاد ؛ وربما نالهم منها النصيب الأوفى ، لأنهم ضحايا مجهزة وفرائس أسهل صيداً لمن يريد الشر .

ومن العبث أن نبحث عن التمييز بين أعمال العناية فيما يخص ما نسمّيه السعادة . فقد عبّر عن ذلك أحد الكتاب العصريين بعبارة عنيفة قال : « ان ما يمنع من لمح العناية هو العمى الاعظم أي خيال السعادة . فلو شئنا أن ننظر الى مصير كل من حولنا ونبحث فيه عن غاية أخرى غير السعادة لتجلت لنا يد الله . فلماذا نفرض ان العناية انما تسعى ببلاهة لسعادة كل إنسان ؟ »

وقد عبّر الاب سرتيلنج عن هذه الفكرة نفسها بلهجة أكثر لباقة فقال : « ان العناية هي محسنة رهيبة لا عاطفية ولا خيالية ، ولكنها بدون ريب محسنة . أفيعجبنا أن يغلبها الشعور ويغلبنا ؟ إنها تهجس بنا وتتقدم لنا كل ما يلزم من الخدم مثل كثيرين ممن لا ينالون الا المديح . فما أكثر العصي في أيدي الوالدين والعقوبات عند المعلمين والسم في واجهات الصيادلة ، وما أكثر الملاقط والمشارط في أدراج الجراحين . »

ولا يقصد الله في هذه الرأفة الصارمة القليلة الضعف والعطف أن نكون بخير وعلى أحسن حال بل أن نكون طيبين ، وأن نصير أطيب ،

وأن نلاقي لذلك في العالم وفي حياتنا الحاضرة لا نجاحاً خالياً من المصاعب بل فرصاً تؤدّبنا وترفعنا .

وهذه الخطة لا توافق ذوقنا غالباً . لقد قال ربنا للقديسة ترزيا وقد كانت مرهقة بالمتاعب : « يا ابنتي إني هكذا أعامل أحبائي . » فأجابته بما كان يسمح لها به حبها من الدالة : « من أجل هذا ، يا سيدي ، هم قليلون . »

فعلى هذا الضوء يجب أن ننظر الى العناية وإلى فعلها التدبير : فان الله يترك القوانين الطبيعية تجري مجراها ، غير عابئة بمصالحنا ، ويترك البشر يسلكون مرارًا سلوكاً مؤذياً لنا إلا أنه يوجه كل هذا الى خير اوليائه الأعظم.

كتب القديس بولس في رسالته الى الرومانيين (٨:٢٨) عبارة يمكن فهمها جيدًا بدون زيادة عليها : «إن الذين يحبون الله يؤول كل شيء إلى نفعهم . » ويشاء الله أن ما يبتلون به من احداث العالم العظمى : من حروب ومجاعات ومنفى... ومما يصحب حياتهم من أفراح واتراح ونجاح واخفاق وتجارب مزعجة او تقوى وتغذية ، كل ذلك يشاء الله ان يكون نعماً وفرصاً يقدمها لهم ليزدادوا حباً له ويستعدوا بها لحياة ابدية أكثر جمالاً .

حتى ما نسميه بلغتنا الوثنية نكبة سوداء وداهية دهياء وحظاً عاثرًا... كلها ينتج الله منها خيرًا للذين يحبونه . ولهذا يوصي ربنا رسله بهذه الوصايا المذهلة : لا تخافوا ممن يمكنهم ان يقتلوكم ثم لا يستطيعون شيئاً (متى ١٠: ٢٨) لا تخافوا ممن يقتلون الجسد ، تلك تفاهة ، اهتموا خاصة أن تكونوا في سلام مع الله رب الدهر والابد .

ان حادثاً من الحوادث قد يبدو للعين ناتجاً عن قوة عمياء او ناجماً عن شرير يكرهنا ولا يكون على الحقيقة الا دليلاً على المحبة الالهية .

ويمكن القول أن من خصائص العناية انها تحمّل كل حادث نعمة ، وتفتّح في ادغال الاشواك أزهارًا علينا نحن أن نجنيها : « كم نعمة لا تستقل بشكرها ، لله في طي المكاره كامنة » .

لا نحاول أن نلقّن الله دروساً . فكل ما يصنعه يستحق العبادة وهو نعمة سابغة .

موقف المسيحي : الرجاء

لا حقيقة نظرية في العقيدة ؛ وتعليم العناية أقل نظرية مما سواه ؛ فهو يقتضي منا أن نتعاون ان يكون عندنا استعداد ، استعداد نفس وهذا الاستعداد النفسي يمكن إيجازه بكلمة : الرجاء . ولا بد من تحليل عناصر هذا الرجاء المسيحي وتحديد أركانه .

إنه يفرض أولاً وجود الايمان — إيمان حي — بالعالم غير المنظور وبالحياة الآتية ، إذ أن العناية ليست موضوع اختبار مباشر وموضوع تحقيق . فما نختبره ونحققه قد يغدو سبباً للريب ؛ لان الظواهر كثيراً ما تكون ضد الله . ولا نغتر بفهم كلمة ظواهر فعالم الظواهر ليس شبحاً بخارياً ينقشع عند أقل تفكير بل هو جامد جداً : فالظلم والفساد حقيقتان واقعيتان تثخنان نفوسنا جراحاً ؛ يقول جبريل مرسل : « إن التناقض الأساسي في المسيحية يقوم بأن نقول : إن الشر مغلوب منذ الأزل والاّ كنا مانويين واذا راعينا الظواهر العالمية ، ما دمنا في محنة الحياة ؛ وجدنا هذه الشرور لا تزال على شدتها وكثيراً ما تدعونا الى اليأس والكفر .

واذا عدنا الى أمثال الإنجيل يدهشنا ما نرى في شبكة الصيد العظيمة من كثرة السمك الردي المختلط بالسمك الجيد ؛ وما نرى في حقل أبي العائلة من نموّ الزؤان بين القمح ، ومما يحيّرنا في مشاهد التاريخ اجتهاد أعداء الله لكي يطردوه من العالم ، وأغرب من ذلك سكون الله نفسه . ان تفصيل حوادث البشر لممّا يدعو الى اليأس كما يحدث لقارئ الصحف « لا ينتهي من قراءتها إلا يائساً » . فليس لنا سوى الايمان — الايمان الحي — فهو وحده جدير بالمقاومة المطلوبة من المسيحي . ولعل الرجاء أجمل فعل إيمان . يقول بيجي على لسانه تعالى : « أحبّ إيمان إليّ هو الرجاء » إذن إيمان ورجاء شيء واحد ولا بدّ من اضافة « حب ورجاء شيء واحد » فالرجاء هو التسليم وهو غالباً فعل بطلي وإكرام عظيم لله وفعل حب ممن يؤمن بالحب .

وفي الموقف المسيحي أمام العناية شيء آخر غير التسليم متى تضمنت هذه الكلمة معنى الجمود القسري والألم المكتوم من سلوك المشيئة الالهية هذا السلوك المكروه . فقيمة الرجاء في أنه يقتضي الانطراح البنوي بين

يدي الله الذي نصرّح رغم الظواهر أنه ليس خصماً لنا ولا مقصراً نحونا بل انه ابونا. واليك صلاة السيدة اليصابات شقيقة الملك لويس ١٦ وقد أوحى بها ربنا اليها وهي في السجن أيام الإرهاب ؛ بين وحشة الحاضر وتهديد المستقبل :

« اللهم . ما تراه ينزل بي اليوم؟ ما أدري . كل ما اعلم أني لن يصيبني إلاّ ما قدّرته منذ الأزل . وهذا يكفيني لأظل مطمئنة . إني أعبد أحكامك الأولية وأخضع لها من كل قلبي ؛ إني أريد كل ما تريد ؛ وأقبل كل ما تريد وأضحّي لك بكل شيء ؛ وأضمّ هذه التضحية الى ذبيحة ابنك العزيز مخلصي وأسألك ، بقلبه الأقدس وباستحقاقاته غير المتناهية؛ نعمة الصبر في مصائبنا والخضوع الكامل الواجب لك في كل ما تريده وتسمح به . »

فهل من قلب بشري أنشد العناية أجمل من هذا النشيد؟

ها هي ذي المسيحية بمعناها الصحيح . ان الرجاء المسيحي منزّه عن الأماني الأرضية التي تحاول أن تتسرب اليه نظير آمال اسرائيل . وهل لاحظنا ما في فعل الرجاء من صيغة الاختصار في تعليمنا المسيحي؟ وما يوجبه على كل مؤمن من إنكار الذات ؛ فهو يرجو رجاء وطيداً عون النعمة في هذه الدنيا والبلوغ بها الى مجد السماء ولا ذكر فيه للنجاح الزمني .

أما إن انكار العناية ومعظم التجديف عليها متأت من أن البشر ينتظرون من الله أن ينظّم لهم عيشاً هنيئاً ويتعهّد لهم بلذات رخيصة؟

ويحسّ الانسان بالخيبة عادة لانه اعتمد على وقوع حادث فلم يقع فظن أنه خدع وأن ذلك نقض لعقد سابق ؛ وحقيقة الأمر أنه يجهل الرجاء من أساسه . فقد ترجى حصول شيء ؛ ترجى شيئاً ولم يترجَ أحداً . وقد حلل فيلسوف عصري هذه الحالة بأنها ضلال منطقي « ففعل ترجّى أصبح عنده ترقّب ومن ثم قد صار اعتمد على، واخيراً أمسى ادّعى على أو طالب . والمطالبة ضد الرجاء المسيحي ، لان ليس ثمّ إلاّ رجاء واحد حقيقي . « ارجوك أنت وحدك يا إلهي » .

المسيحي وعالم اليوم

الرجاء هو الرضى بأحكام الله ؛ وقد سبق أن قلنا ان الله الدائم متأنٍ ؛ أما نحن الزائلون فمتسرّعون ؛ لا نتوقف عند وجوب التوقف بل نروم بلوغ المراد قبل الأوان : على أن « من تأنّى نال ما تمنّى » .

الرجاء المسيحي وداعة وتواضع واحترام لقوانين الحياة وأساليب النعمة ؛ أعني هو الخضوع لله ، هو صبر وانتظار . ليس الرجاء ذلك الموقف السلبي ، موقف من ينتظر نهاية مشهد او ختام رواية .

الرجاء جد ونشاط والمسيحي رجل أعمال لا أقوال . كان الرسل يوم صعد الرب ساهين ينظرون الى السماء فقطع الملائكة تخيلاتهم ووجهوا أبصارهم الى الأرض وكان القديس بولس يوبخ من يستسلم الى الكسل من المؤمنين الأولين ، محتجين بان المسيح عائد بمجده قريبا (تسالونيكي الثانية) .

لا شك ان العالم الحاضر لا منفعة له في فكر الله إلاّ انه استعداد للعالم الآتي ، والحياة الحاضرة ما وجدت الا للحياة الخالدة ، والمدينة الأرضية الا للمدينة المستقبلة . غير أن الأبدي انما يعدّ في الزمان ، والمدينة الدائمة تشيّد بمواد أرضية ، والمسيحي في وسط العالم البشري ينظم هذا العالم ويجعله أكثر خيرًا أو أقلّ شرًّا فيدخل فيه مزيدًا من الهداية والعدالة والمحبة ؛ ويقاوم الفساد وعدم المساواة وهو اذ يحاول ان يجعل مدينة البشر أكثر مسيحية يبني مدينة الله حجرًا حجرًا .

فهو لا يحتاج الى شجاعة عظيمة ؛ وفضله في عمله أنه لا يعتمد على أوهام مشجعة من التفاؤل . فالمسيحي يعلم أنه لن يكون على الأرض مساء مدهش ولا صباح فتّان ، بل لن تبرح الأمور تسير الى السوء يوماً بعد يوم . فلا بدّ للصياد من مزاج قوي حتى يقول : ألقي الشبكة ، وهو عارف ان الصيد سيكون ضئيلاً ولا بد للزارع من بأس شديد حتى يحرث الأرض وهو يتخيّل العشب الرديء نابتاً بعد أشهر بين القمح . وما يلاقيه من المصاعب ومن بعض الاخفاق ليس عذرًا كافياً للكسل . فاليأس خيانة تجاه الله وتجاه النفس ومؤامرة مع العدو . ونقض الرجاء والجمود نوع من الخيانة وعزم على الانتحار ، فمن هجر ساحة العمل كمن هجر محرس الوطن .

هناك حتماً ساحة لعمل مشترك يجب على المسيحي أن يعدّ نفسه مسئولاً عنه. فالآب الذي يعتني بكل عصفور وبكل زهرة من أرض الجليل يحب كل واحد من البشر حبه له لو كان وحده في الدنيا ؛ يحبه بابنه الذي هو البكر بين كثيرين من الإخوة. يحبه بالعالم البشري الذي يريده أخوّة. فمن عزم أن يعاون العناية لزمه أن يعمل على انجاح هذه المغامرة : المشتركة العظيمة فليس من خلاص فرديّ يصير خلاصاً أنانياً. فالرجاء المسيحي يقتضي دائماً الاتحاد ويساهم في تحقيقه على أكمل وجه. واذا صح أن الحب لا يقوم بان ينظر أحدنا الى الآخر بل أن ننظر معاً الى جهة واحدة ؛ كان الرجاء افضل شيء يمكنه منذ هذه الحياة أن يكوّن « نحنا » في انتظار وإعداد « نحن » الحقيقية في السماء « نحن » التي تكلم عنها المسيح في صلاته الأخيرة « فليكونوا كلهم واحداً كما أنك أنت يا أبت فيّ وأنا فيك... فليكونوا مكمّلين في الوحدة ».

ان هذا التفاؤل أكيد لا خداع فيه ، لأنه مؤسس على صدق الله ومواعيده. إنه يقتضي عملاً عاجلاً موجهاً دائماً نحو العالم الثاني ؛ يسمح لنا أن نحيا في الحاضر « كأناس قد جاؤوا من المستقبل » هذا هو الموقف الذي يطلبه من المسيحي إيمانه بالعناية. وهذا هو الموقف الذي يطلبه عالم اليوم. كان أحد الكتاب يقول من قريب : « إن ما ينتظره العالم منا هو كلمات الرجاء : لأن الجيل الحاضر لم نره يطلب الا أمراً واحداً ؛ أن يكون في مستوى اليأس الأعلى. وربما كان هذا مما يهيب بنا الى التكلم عن الرجاء الأسمى الذي نحاول البحث عنه ما بين البؤس البشري ، فيكون شبه انتصار.

يمكنا أن نزعم أن وجودياً لا يؤمن بالله هو غير أهل لأن يبشر بالرجاء. أما المسيحي المتخصص بالرجاء فأي مسئولية عليه إن تردد عن إسماع الناس كلمات الرجاء التي تدعوها إنجيل الآب السماوي ورسالة المسيح الذي مات وقام لأجلنا.

فلا يكفي المسيحين أن يبحثوا بين البؤس البشري « عن شيء يشبه انتصاراً » ، وقد يكون غروراً. فانهم يمكنهم بل يجب عليهم أن يبشروا ، وسط البؤس ، بالنصر الحقيقي الذي يطلبه العالم ؛ وبهذه الطريقة يبدلونه من الأماني رجاء.

بقايا كتاب هام للجاحظ

بقلم شارل بلاّ

لم يخلُ اكتشاف مؤلّفات القاضي عبد الجبّار من أن يكون حافزاً قوياً على إنعاش الدراسات المتعلّقة بمذاهب المعتزلة ؛ ومن طريف الاتفاق أنّه ظهرت في غضون سنة واحدة مقالتان[1] قيّمتان موضوعهما العام مسألة « المعرفة » وروابطها بمذهب الجاحظ ؛ وبما أن مختاراً من آثار أبي عثمان محفوظٌ بلندن وباستنبول يتضمّن قسماً من « كتاب المسائل والجوابات في المعرفة[2] » : رأيت أن أضع هذا النصّ الناقص تحت تصرف الباحثين دون أن أعلّق عليه ودون أن أحاول أن أسدّ بعض ثلمه استناداً إلى ما نقله منه القاضي عبد الجبّار وأصحاب كتب الملل والنحل .

---

١) G. Vajda, *La Connaissance naturelle de Dieu selon al-Ǧāḥiẓ critiquée par les Mu'tazilites*, in *Studia Islamica*, XXIV (1966), 19-33; J. Van Ess, *Ǧāḥiẓ und die aṣḥāb al-ma'ārif*, in *Der Islam*, XLII/2-3 (1966), 169-178.

٢) في المتحف البريطاني ، رقم ١١٢٩ (رمز : ل) وفي Emanet Hazinesi رقم ١٣٥٨ (رمز : اخ) ؛ راجع Ramazan Şeşen, *Cāḥiẓ'in eserlerinin İstanbul Kütüphanelerindeki yazma nüshaları ve bunlar haracında bazı yeni malzemeler*, in *Şarkiyat Mecmuası*, VI (1965), 126.

ولقد تفضّل الاستاذ رمضان ششن فقام بمقابلة مخطوط استنبول بنسختي ، فله أجزل الشكر .

من كتاب المسائل والجوابات في المعرفة

بالله نستعين وعليه نتوكّل وما توفيقنا إلاّ بالله

اختلف الناس في المعرفة اختلافاً شديداً ، وتباينوا فيها تبايناً مفرطاً ؛ فزعم قومٌ أن المعارف كلّها فعل الفاعلين ، إلاّ معرفةً لم[1] يتقدّمها سببٌ منهم[2] ولم يُوجبها علّةٌ[3] من أفعالهم ، ولم يرجعوا إلى معرفة الله ورسوله[4] والعلم بشرائعه ولا إلى كل ما فيه الاختلاف والمنازعة وما لا تعرف[5] حقائقه إلاّ بالتفكّر والمناظرة دون [ل ١٧٥ ظ] دَرْك الحواسّ الخمس ؛ فزعموا أن ذلك أجمع فعلهم على الأسباب الموجبة[6] والعلل المتقدّمة ، وجعلوا مع ذلك سبيل المعرفة بصدق الأخبار كالعلم بالأمصار النائية[7] والأيام الماضية كبَدْر وأُحُد والخَنْدَق وغير ذلك من الوقائع [اخ ٨٢ و] والأيّام ، وكالعلم بفَرْغانة والأندلس والصين والحَبَشة وغير ذلك من القُرى والأمصار ، سبيل[8] الاكتساب والاختيار ، إذ[9] كانوا هم الذين نظروا حتى عرفوا فصل[10] ما بين المجيء الذي لا يُكذب [في] مثله والمجيء الذي يمكن الكذب في مثله ؛ فزعموا أن جميع المعارف سبيلها سبيل واحد[11] ووجوه دلائلها وعللها متساوية ، إلاّ ما وجده[12] الحواسّ بغتةً وورد على النفوس في حال عجز أو غفلة ، فكان[13] هو القاهر للحاسّة والمستولي على القوّة ، من غير أن يكون من البصر فتحٌ ومن السمع إصغاء[14] ومن الأنف شمّ ومن الفم ذوق ومن البشرة[15] مسّ ، فإنّ ذلك الوجود فعل الله دون الإنسان على ما طُبع عليه البشر ورُكّب عليه الخلق .

---

١) سقط من ل .
٢) ل : منه .
٣) ل : عليه .
٤) كذا في ل واخ ، والصواب : ورسله .
٥) ل و اخ : يعرف .
٦) و اخ : المرجية .
٧) ل و اخ : القائمة .
٨) ل و اخ : وسبيل .
٩) ل : إذا ؛ اخ : ان .
١٠) ل و اخ : فضل .
١١) اخ : واحدة .
١٢) ل و اخ : وجد .
١٣) ل : وكان .
١٤) ل : الصفا .
١٥) ل : البشر .

قالوا [ل ١٧٦ و] : فاذا كان دَرْكُ الحواسِّ الخمس ، إذا تقدَّمته الأسباب وأوجبته العلل : فعلَ المتقدِّم فيه والموجب له ؛ ودركُ الحواسِّ أصل المعرفة وهو المستشهد على الغائب والدليل على الخفيّ ؛ وبعد صحته تصحّ المعارف وبعد فساده تفسد ؛ فالذي تستخرجه الأذهان منه وتستشهد عليه كعلم التوحيد والتعديل والتجوير[١] وغامض التأويل وكلّ ما أظهرته العقول بالبحث وأدركته النفوس بالفكر من كلّ علمٍ وصناعة ، كالحساب[٢] والهندسة والصياغة والفلاحة ، أجدرُ أن يكون فعلَه والمنسوبَ إلى كسبه .

قالوا : فالدليل على [أنّ] درك الحواسّ فعلُ الإنسان على ما وصفنا واشترط[نا] من إيجاب الأسباب وتقدّم العلل أن الفاتح بصره لو لم يفتح لم يُدرِك ؛ فلمّا كان البصر قد يوجد مع عدم الإدراك ولا يعدم الإدراك مع وجود الفتح ، كان ذلك دليلاً على أن الإدراك إنّما كان لعلّة الفتح ولم يكن لعلّة البصر ، لأنّه لو كان [ل ١٧٦ ظ] لعلّة صحة البصر كانت الصحّة لا توجد أبداً إلاّ والإدراك موجود[٣] ؛ فاذا كانت الصحّة قد توجد مع عدم الإدراك ولا يعدم[٤] الإدراك مع وجود الفتح ، كان ذلك شاهداً على أنّه إنّما كان لعلّة الفتح دون صحّة البصر .

وقالوا : ولأنّ طبيعة البصر قد كانت غير عاملة حتّى جعلها الفاتح بالفتح عاملةً ، ولأن الفتح علّة الإدراك ومقدمة بين يديه وتوطئةٌ له ؛ وليس الإدراك علّةً للفتح ولا مقدّمةً بين يديه ولا توطئةً له ؛ فواجب أن يكون فعلَ الفاتح لأن السبب إذا كان موجباً فالمسبَّب تبعٌ له :

[ا خ ؛ ٨ ظ] ... ثم قالوا بعد الفراغ من درك الحواسّ في معرفة الله ورسله[٥] وكلّ ما فيه الاختلاف والتنازع : إن ذلك أجمع لا يخلو من أحد أمرين : إمّا أن يكون يحدث من الإنسان لعلّة النظر المتقدم ، أو يكون يحدث على الابتداء لا عن علّة موجبة وسبب متقدم ، فإن كانوا أحدثوه على الابتداء فلا[٦] فعلَ أولى بالاختيار ولا أبعد من الاضطرار منه ؛ وإن كان إنّما كان لعلّة النظر المتقدم كما قد دللنا في صدر الكلام على أنّ درك الحواسّ فعلُ [ل ١٧٧ و] الإنسان إذا تقدّم منه[٧] سببه ، فالعلم بالله

١) ل : والتحرير .
٢) ل و ا خ : الحساب .
٣) ل : موجوداً .
٤) ل : يعجم .
٥) ل : ورسوله .
٦) ل و ا خ : ولا .
٧) ل و ا خ : في ؛ ولعل الصواب ما اثبت .

وكتبه ورسله أجدر أن يكون فعله ؛ إذ[١] كان من أجل نظره[٢] علم ومن جهة بحثه أدرك ؛ فهذا جُمَّل دلائل هؤلاء القوم ورئيسهم بشر بن المعتمر .

ثم هم بعد ذلك مختلفون في دَرَك الحواسّ إلاّ ما اعتمد[٣] إدراكه بعينه وقصد إليه بالفتح والإرادة ؛ لأن الفتح نفسه لو لم يكن معه قصد وإرادة ما كان فعلَ الفاتح ؛ فكيف يجوز أن يكون الإدراك فعله من غير قصد ؟ ولو جاز أن يكون الفتحُ فعلَ الإنسان من غير أن يكون أراده[٤] وقصد إليه ، ما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرق[٥] ؛ لأنه كان لا يجوز أن يكون ذهاب الحَجَر إذا لم يدفعه ولم يقصد إليه ولمْ يخطر له على بال ، فعلَه ؛ فكذلك الإدراك إذا لم يخطر على باله ولم يقصد إليه ولم يتعمَّده ، لا يكون فعلَه .

[...] وليس على المخبر عن[٦] خصمه والواصف مذهبَ غيره أن يجعل باطلهم حقاً وفاسدهم صحيحاً ؛ [ل ١٧٧ ظ] ولكن عليه أن يقول بقدر ما تحتمله النحلة وتتّسع له المقالة ؛ وعليه أن لا يحكي عن خصمه ويخبر عن مُخالفه[٧] إلاّ وأدنى منازله أن لا يعجز عمّا بلغوه ولا يعيى[٨] عمّا أدركوه .

[...] وقد زعم آخرون أن المعارف ثمانية أجناس ؛ واحد منها اختيار وسبعة منها اضطرار ؛ فخمسة منها دَرَك الحواسّ الخمس ، ثم المعرفة بصدق الاخبار كالعلم بالقرى والأمصار والسير والآثار ؛ ثم معرفة الإنسان إذا خاطبه[٩] صاحبُه أنّه[١٠] موجِّه[١١] بكلامه إليه وقاصدٌ به نحوه ؛ وأمّا الاختيار فكالعلم بالله ورسله وتأويل كتابه والمستنبط من علم الفُتيا وأحكامه وكلّ ما كان فيه الاختلاف[١٢] والمنازعة وكان سبيل علمه النظر والفكرة ، ورئيس هؤلاء [ا خ ٨٣ و] أبو اسحق[١٣] .

وزعم معمّر[١٤] أن العلم عشرة أجناس ، خمسة منها درك الحواسّ والعلم السادس كالسير الماضية والبلدان النائية[١٥] ؛ والسابع علمُك بقصد المخاطب

١) ل و ا خ : او .
٢) ل : نظرة .
٣) اي : تعمد الانسان ادراكه .
٤) ا خ : ارادة .
٥) ا خ : اذا لم .
٦) ل و ا خ : نفسه .
٧) ل : مخالفة .
٨) ل : يعيا .
٩) ل : خاطب .
١٠) ل : ان .
١١) ل و ا خ : موجبه .
١٢) ل : اختلاف .
١٣) هو النظام .
١٤) ل : معمروا .
١٥) ل و ا خ : القائمة .

إليك وإرادته إيّاك عند المحاورة[1] والمنازعة ، وقبل ذلك [ل ١٧٨ و] وجود الإنسان لنفسه ؛ وكان يجعله أوّل العلوم ويقدمه على درك الحواس وكان يقول : « ينبغي أن يتقدّم وجود الإنسان لنفسه على وجوده لغيره » ؛ وكان يجعله علماً خارجاً من درك الحواسّ لأن الإنسان لو كان أعمى[2] لأحسّ نفسه ولم يحسّ ، [......][3] ولو كان أصمّ لأحسّ نفسه ولم يحسّ][4] . صوته ولو كان أخشم لأحسّ نفسه ولم يحسّ[5] رائحته ؛ وكذلك سبيل المذاقات والملامس ؛ فلمّا كان المعنى كذلك وجب أن يُفرد من درك الحواسّ ويُجعل علماً تامّاً على حياله[6] وقائماً[7] بنفسه ؛ ثم جعل العلم التاسع علم الإنسان بأنّه[8] لا يخلو من أن يكونَ قديماً أو حديثاً ؛ وجعل العلم العاشر علمه بأنّه محدث وليس بقديم .

[...] ولستُ آلو بهذا[9] الكلام والإيجاز في الإدخال على بِشْر بن المُعتمِر في درك الحواسّ ثم على أبي إسحق في ذلك وفي غيره ممّا ذكرت من مذاهبه وتركه قياس ما بنى عليه إن شاء الله لتصير إلى الكلام في المعرفة فاني إليه أجريتُ وإيّاه اعتقدت ، ولكنّي أحببت أن . أبدي فساد[10] أصولهم قبل فروعهم ، فإنّ [ل ١٧٨ ظ] ذلك أقبل للداء وأبلغ في الشفاء وأحسم للعرق وأقطع للمادة وأخفّ في المؤونة على مَن قرأ الكتاب وتدبّر المسألة والجواب ؛ وبالله ذي المنّ والطول نستعين .

فصل من ردّه على أبي إسحق النظّام وأصحابه

يقال لهم : حدّثونا عن العلم بالله ورسله[11] وتأويل كتبه وعن علم القدر وعلم المشيئة والأسماء والأحكام ، أباكتساب[12] هو أم باضطرار ؟

فان زعموا أنّه باكتساب ؛ قيل لهم : فخبّرونا عن علمكم بأنّ ذلك أجمعَ اكتسابٌ ؛ أباكتساب[12] هو أم باضطرار ؟

فان قالوا : باكتساب ، قيل لهم : أوَ ليس اعتقادُ خلافِ ذلك أجمعَ باكتساب ؟

---

١) اخ : المحاورة .
٢) ل : عمى .
٣) لعلها : صورته .
٤) سقط من ل و اخ .
٥) سقط من ل .
٦) ل : خياله .
٧) ل : وقائلا .
٨) ل و اخ : فانه .
٩) ل و اخ : الواجد ذا ؛ ولعل الصواب ما اثبت
١٠) ل : ابرى افساد ؛ اخ : ابدا افساد ؛ ولعل الصواب : أبدأ بافساد .
١١) ل : ورسوله .
١٢) ل : ابكتساب .

فإن[1] قالوا : نعم ، قيل لهم : فإذا كان اعتقاد الحق واعتقاد الباطل باكتساب ، [أ]فليس كل واحد من المكتسبين عند نفسه على الصواب؟

• فان[2] قالوا : نعم ، قيل لهم : أوليس كل واحد منهما ساكن القلب [اخ ٨٣ ظ] إلى مذهبه واختياره؟[3] .

فإن[4] قالوا : نعم ، قيل لهم : فما يؤمّن المحقّ من الخطإ[5] وليس سكون القلب وثقته علامةً للحقّ لأنّ ذلك لو كان علامةً لكان المبطل محقاً إذ[6] كان فيه قد يجد من السكون والثقة ما لا يجد المحقّ ؟ قلنا[7] : وما معنى خلافه إلّا أن يكون المبطل شاكّاً أو يكون عارفاً بتقصيره أو يكون [ل ١٧٩ و] مكترثاً لوهن يجده؟ فإذا لم يكن كذلك فلا فرق بين المعتقدين .

فإن قالوا : إنّ فرق ما بينهما أنّ سكون قلب المحقّ حقٌّ في عينه وسكون قلب المبطل باطلٌ في عينه ، قلنا : أوليس ذلك غير محوّل لسكون المبطل عن الثقة إلى الاضطراب ولا مغيّره إلى الاكتراث ؟

فإن[8] قالوا ذلك ، قيل لهم : فما يؤمّن المحقّ أن يكون سكونه أيضاً باطلاً في عينه إذ[9] كان سكونه لا ينفصل من سكون المبطل ، ولئن كان الفرق[10] بينهما ظاهر[11] الاجتهاد والعبادة ؛ فمَن أظهر اجتهاداً من الرهبان في الصوامع والخوارج في بذل النفوس ؟

فإن قالوا : الفرق بينهما أن المحقّ قد استشهد الضرورات والمبطل لم يستشهدها[12] ، قلنا : فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات أو لم يستشهدها ، حتى لو سأله سائلٌ فقال : « وما يؤمّنك من الخطإ؟ » — لقال : « استشهادي الضرورات » ؟ .

فإن زعموا أنّ المبطل لا يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات [ل ١٧٩ ظ] لأنّ ذلك هو علامة الحقّ والفصل بينه وبين الباطل ، قلنا : وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قطّ أو نظر في شيء إلّا وأوّل[13] نظره إنما هو على أصل الاضطرار ؟ لأن المتكبّر لا يبلغ من جهله أن يستشهد الخفيّ ،

---

١) اخ : فاذا .
٢) اخ : فاذا .
٣) سقط من ل .
٤) ل و اخ : فاذا .
٥) ل : الخطى .
٦) ل : اذا .
٧) لعل جواباً قد سقط .
٨) ل و اخ : فاذا .
٩) ل و اخ : اذا .
١٠) ل و اخ : السكون .
١١) لعل الصواب : اظهار .
١٢) ل : يستشهد .
١٣) سقط من اخ .

بل من شأن الناس أن يستدلّوا بالظاهر على الباطن إذا أرادوا النظر والقياس ، ثم هم بعد ذلك يُخطئون أو يُصيبون ؛ قلنا[١] : فينبغي أن يكون كلّ مبطل في الأرض قد علم حين يقال له : « ما يؤمّنك أن تكون مبطلاً ؟ » أنّه لم يستشهد الضرورات وأنكر أصلَه الذي قاس عليه واستنبط منه ضرورة ؛ وأنّه إنما قال بالعسف أو بالتقليد ؛ وإذا كانوا كذلك فهل يخلو أمرهم من أن يكونوا قد علموا أنهم على خطإ أو يكونوا شكّاكاً أو يكونوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات وإن كانوا قد تركوا ذلك عند بعض المقدّمات ؛ فإن كانوا قد علموا أنهم لم يستشهدوا الضرورات[٢] وإن كانوا شكّاكاً فيها فليس على ظهر الأرض مخطئ إلاّ وهو [ل ١٨٠ و] عالم بموضع خطائه أو شاكّ [ا خ ٨٤ و] فيه ، أو كانوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات ، فما يؤمّنكم أن تكونوا كذلك ؟

فإن قالوا : ليس أحدٌ يعرف أن علامة الحقّ استشهاد الضرورات غيرُنا ، قلنا : أوَ[٣] لستم — معشر أبي إسحق النظّام — تختلفون[٤] في أمور كثيرة وقد[٥] كنتم تخالفون صاحبكم خلافاً كثيراً ، وكلكم إذا سأله سائل : [ما] يؤمّنك أن تكون[٦] على باطل ؟ » — قال : «لأني مستشهدٌ للضرورات» ، فهل يخلو أمركم من أحد وجهين : إمّا أن تكونوا صادقين على أنفسكم أو كاذبين عليها ؛ فإن كنتم صادقين فقد صار قلب المحقّ كقلب المبطل إذ[٧] كان كلّ واحد [منهما] عند نفسه مستشهداً للضرورات ؛ وإن كنتم كاذبين فهل منكم محقّ إلاّ وهو يلقى الخصم بمثل دعواه في استشهاد الضرورات ؟ وهل منكم واحد على حياله[٨] محقّاً [كان] أو مبطلاً إلاّ وجوابه لنا مثل جواب صاحبه ؟ فإذا كانت القلوب قد تكون عند أنفسها [ل ١٨٠ ظ] مستشهدةً للضرورات وهي غير مستشهدة لها وكون القلب كذلك هو علامة الحقّ ، فما الفرق بين قلب المحقّ والمبطل ؟ ومع ذلك إنّا وجدنا صاحبكم قبلكم ووجدناكم بعده قد رجعتم عن أقاويل كثيرة بعد أن كان جوابكم لمن سألكم : « ما يؤمّنكم أن تكونوا[٩] على باطل ؟ » ، أن تقولوا[١٠] : « استشهادنا للضرورات » ، ونحن لو سألناكم عمّا رجعتم عنه ،

---

١) لعل جواباً قد سقط .
٢) ل : الضروريات .
٣) ل : ولستم .
٤) ل و ا خ : يختلفون .
٥) سقط من ا خ .
٦) ل و ا خ : يكون .
٧) ل : اذا .
٨) ل : حياله .
٩) ل و ا خ : يكونوا .
١٠) ل و ا خ : يقولوا .

فقلنا لكم: «لعلكم على خطإ ولعلكم من هذه الأقاويل على غرر» لم يعد جوابكم استشهاد الضرورات.

٥

[...] ثم إني واصفٌ قولي في المعرفة ومجيبٌ خصمي في معنى الاستطاعة وفي أيّ أوجُهِها[١] يحسن التكليف وتثبت الحجّة، ومع أيّها[٢] يُسمح التكليف وتسقط الحجّة[٣].

فأوّل ما أقول في ذلك أن الله - جلّ ذكره - لا يكلّف أحدًا فعل شيء ولا تركه إلاّ وهو مقطوع العذر زائل الحجّة ولن[٤] يكون العبد كذلك إلاّ وهو صحيح البنية معتدل المزاج وافر الأسباب مخلّى السرب عالم بكيفيّة الفعل حاضر النوازع [ل ١٨١ و] معدّل الخواطر عارف بما عليه وله؛ ولنْ[٥] يكون العبد مستطيعاً في الحقيقة دون هذه الخصال المعدودة والحالات المعروفة التي عليها مجاري الأفعال ومن أجلها يكون الاختيار ولها يحسن التكليف ويجب[٦] الفرض ويجوز العقاب ويحسن الثواب؛ ولوكان الإنسان متى كان صحيحاً كان مستطيعاً لكان[٧] مَن لا سُلّم له للصعود مستطيعاً؛ ولن[٨] يكون [اخ ٨٤ ظ] أيضاً مع ذلك كلّه للفعل مختارًا وله في الحقيقة دون الانجاز مستطيعاً إلاّ وجميع أوامره في وزن جميع زواجره؛ حتى إذا قابلت بين مرجوّهما[٩] ومخوفهما[١٠] وبين تقديم اللذّة وخوف الآخرة وبين تعجيل المكروه وتأميل[١١] العاقبة وجدتهما في الجذب[١٢] والدفع وفي التقبض والبسط سواء؛ ولا يكون ايضاً كذلك إلاّ وبقاؤه في الحال الثانية معلوم لأن الفعل حارس والطباع محروسة[١٣] والنفس عليهـــا موقفة؛ فإن كان الحارس أقوى من طباعها كان ميل النفس معه [ل ١٨١ ظ] طباعاً، لأن من شأن النفس الميلَ إلى اقوى الحارسين[١٤] وأمتن السببين؛ ومتى كانت القوّتان متكافئتين كان الفعل اختيارًا ومن حدّ[١٥] الغلبة خارجاً؛ وإن كانت الغلبة تختلف في اللين والشدة وبعضها أخفى وبعضها أظهر - كتكرار

١) ل و اخ: وجهها.
٢) اخ: انها.
٣) سقط من ل.
٤) ل و اخ: وان.
٥) اخ: وان.
٦) اخ: ويحب.
٧) ل و اخ: لكن.
٨) اخ: وان.
٩) ل: مرجوها.
١٠) ل: ومخوفها.
١١) كذا ولعل الصواب: تأجيل.
١٢) ل: الجذر، اخ: الحذر.
١٣) كذا في الاصل، والصواب: محروس.
١٤) ل: الحارس؛ اخ: بدون نقط.
١٥) ل: جد.

الإنسان من وهج السموم إذا لم يحضره دواعي الصبر وأسباب المكث وهو من خب الحريق أشد نفرة وأبعد وثبة وأسرع حركة ؛ ومتى قويت الطبيعة على العقل أوهنته وغيّرته ؛ ومتى توهّن وتغيّر تغيّرت[1] المعاني في وهمه وتمثّلت له على غير حقيقتها ؛ ومتى كان كذلك كان عن إدراك ما عليه في العاقبة [أبعد][2] وزيّنت له الشهوات ركوب ما في العاجلة ؛ ومتى أيضاً فضلت[3] قوى عقله على قوى طبائعه أوهنت طبائعه ، ومتى كانت كذلك آثر الحزم والآجلة على اللذّة العاجلة طبعاً لا يمتنع منه وواجباً[4] لا يستطيع غيره ؛ وإنما تكون النفس مختارة في الحقيقة [ل ١٨٢ و] ومجانبة لفعل الطبيعة إذا كانت أخلاطُها معتدلة وأسبابها متساوية وعللُها متكافئة ؛ فإذا عدّل الله تركيبه وسوّى أسبابه وعرّفه ما عليه وله ، كان الإنسان للفعل[5] مستطيعاً في الحقيقة وكان التكليف لازماً له بالحجة .

ولولا أنّك تحتاج إلى التعريف بأنّ المأمور المنهيّ لا بد له من التسوية والتعديل لما قال الله تعالى ﴿ والأرض وما طاها ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ﴾[6] ؛ ولو جاز أن يعلم موضع غيّها ورشدها من غير أن يسوّيها ويبينها لكان ذكرُ التسوية فضلاً من القول ؛ والله يتعالى عن هذا وشبيهه علوّاً كبيراً .

[....] فصل في جواب مَن يسأل عن المعرفة أباضطرار[7] هي أم باكتساب :

قلنا : إنّ الناس لم يعرفوا الله إلاّ من قبَل الرسُل ولم يعرفوه من قبل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والزيادة والنقصان ؛ على أنّا لا نشكّ أنّ رجالاً [ل ١٨٢ ظ] من الموحّدين قد عرفوا وجوهاً من الدلالة على الله بعد أن عرفوه من [ا خ ٨٥ و] الرسل ، فتكلّفوا من ذلك ما لم يجب عليهم وأصابوا من غامض العلم ما لا يقدر عليه عوامّهم ؛ من غير أن يكونوا تكلّفوا ذلك لشكّ وجدوه أو حيرة خافوها ، لأنّ أعلام الرسل مقنعة ودلائلها واضحة وشواهدها متجلّية وسلطانها قاهر وبرهانها ظاهر .

فإن قالوا[8] : أباكتساب[9] علموا صدق الرسل أم باضطرار ؟ — قلنا : باضطرار .

١) ل و ا خ : وتغيرت .
٢) زيادة يقتضيها السياق .
٣) ا خ : فصلت .
٤) ل : وواجب .
٥) ل : للعقل .
٦) سورة الشمس ، ٩١ : ٦–٨
٧) ل و ا خ : باضطرار .
٨) ل و ا خ : قال .
٩) ل : ابكتساب .

فإن قالوا : فخبّرونا على مَن عاين النبيّ صلى الله عليه وسلّم وحجّته والمتنبي وحيلته كيف يعلم[١] صدق النبي من كذب المتنبي وهو لم ينظر ولم يفكّر ؟ فان قلتم إنّه نظر وفكّر فقد رجعتم إلى الاكتساب ؛ وإن قلتم إنّه لم ينظر ولم يفكّر : فلمَ عرف الفصل[٢] بينهما دون أن يجهله ؛ وكيف علم ذلك وهو لا يعرف الحجّة من الحيلة ؟ وما يؤمنه أن يكون مبطلاً إذ[٣] كان لم ينظر في أمور الدنيا ولم يختبر معانيها حتى يعرف الممتنع من الممكن وما لا يزال يكون بالاتّفاق ممّا لا يمكن ذلك فيه ؛ وكيف ولم[٤] يعرف العادة ومجرى الطبيعة ؛ وإلى أين تبلغ الحيلة [ل ١٨٣ و] وأين تعجز الحيلولة[٥] ؛ وعند أيّ ضرب تسقطان[٦] وعلى أيّ ضرب تقومان[٧] ، ولمَ عرف صدق النبيّ حين عاين شاهده وأبصر أعاجيبه من غير امتحان وتعقّب لمعانيها دون أن يعتقد صدق المتنبي إذا أورد عليه أعاجيبه وخدعه وحيلته ؟ بل كيف لم يعرف الله حين وقع بصره على الدنيا من غير فكرة فيها وتقليب[٨] لأمرها ، والدنيا بأسرها دلالةٌ عمّا[٩] عرف صدق النبي حين أبصر دلالتها من غير تفكير فيها وتقليب[١٠] لأمرها ، وقد علمنا أن الدنيا دالّة كما[١١] أن شواهد النبيّ دالّة ؛ ومتى كان ظاهر أحدهما يُغني عن التفكير كان الآخر مثله ، إذ[١٢] لم يكن في القياس بينهما فرقٌ ولا في المعقول فصل[١٣] ؟ قلنا : إن تجارب البالغ قبل أن يهجُم على دلالات الرسل تأتي[١٤] على جميع ذلك ؛ ولعمري لو[١٥] كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري [الأمور] وتصريف الدهور وعلقات[١٦] الدنيا والتجربة لتصريف أمورها ، لمّا وصل [ل ١٨٣ ظ] إلى معرفة صدق النبيّ إلاّ بعد مقدّمات كثيرة وترتيبات منزّلة لأن مشاهد الشواهد إنما يضطرّه المشاهدة لها إذا كان قد جرّب الدنيا وعرف تصرّفها وعادتها قبل ذلك ؛ ولو لم يكن جرّبها قبل ذلك حتى[١٧] عرف منتهى قوّة بطش الإنسان وحيلته وعرف الممكن من

---

١) ل : نعلم .
٢) ل : الفضل .
٣) ل : اذا .
٤) اخ : لم .
٥) اخ : الحيلو .
٦) ل واخ : يسقطان .
٧) ل واخ : يقومان .
٨) ل : وتقلب .
٩) كذا، ويغلب على الظن ان الصواب وقد .
١٠) ل : او تقليب .
١١) ل : على .
١٢) ل و اخ : اذا .
١٣) ل واخ : فضل .
١٤) ل و اخ : يأتي .
١٥) ل واخ : ان لو .
١٦) اخ : بدون نقط .
١٧) ل : حين .

المتنع وما يمكن كونه[١] بالاتّفاق ممّا لا يمكن، لمّا عرف [اخ ٥٨ ظ] ذلك.

فإن قالوا: وكيف جرّب ذلك وعقلَه وأتقنه وحفظه، وهو طفل غرير وحَدَث صغير، لأن غير البالغ طفلٌ إلى أن يبلغ وحين بلغ[٢] فقد هجم على النبيّ وشواهده أو هجم عليه النبيّ بشواهده إمّا بخبر مُمْتنع أو بعيان شاف: ففي أيّة الحالين جرّب وعرف وميّز وحفظ: أفي[٣] حال الطفولة والغرارة — وهذا غير معروف في التجربة والعادة، والذي عليه رُكّبت الطبيعة — أم في حال البلوغ والتمام — وحال البلوغ هي الحال التي [فيها] أبلغه الله الرسالة وقاده إلى رؤية الحجّة واستماع البرهان ومخرج الرسالة؟ فإن[٤] كان الأمر [ل ١٨٤ و] كما تقولون فقد كان ينبغي أن لا يصل إلى العلم بصدق النبيّ وقد أراه برهانه وأسمعه حجّته[٥] حتى تمكّث بعد ذلك دهراً يمتحن الدنيا ويتعقّب أمورها ويعمل التجربة فيها؛ فإن كان ذلك كذلك فلم سمّيتموه بالغاً وليس في طاقته بعدُ العلم بفصلٍ[٦] ما بين النبيّ والمتنبي؟ —

قلنا: إن التجربة على ضربين: أحدُهما [أن] يقصد الرجل إلى امتحان شيء ليعرف مخبره كما[٧] عرف منظره؛ والآخر أن يهجم على علم ذلك من غير قصد؛ وقد يسمّى الإنسان مجرّباً قاصداً أو هاجماً؛ فيزعم أن البالغ منذ[٨] سقط من بطن أمّه إلى أن يبلغ متقلّبٌ في الأمور المختلفة[٩] ومصرّفٌ في خلال الحالات المعروفة[١٠] التي تلتحه الدنيا بما تورد عليه من عجائبها، ويزداد في كل ساعة معرفةً وتفيده[١١] الأيّام في كلّ يوم تجربةً؛ كما يزداد لسانه قوّةً وعظمُه صلابةً ولحمه شدّةً، من أمّ تناغيه وظئر تُلهيه وطفل يلاعبه وطبيب يعالجه ونفس تدعوه وطبيعة تعينه وشهوة تبعثه [ل ١٨٤ ظ] ووجع يقلقه، كما يزيد[١٢] الزمان في قوّته ويشدّ من عظمه ولحمه ويزيده الغذاءُ عظماً وكثرةُ الغضب والتقليب جلَداً؛ فاذا درج وحبا وضحك وبكى وأمكنه أن يكسر إناءً أو يكبّه[١٣] أو يسوّد ثوباً. أو يضرب صبيّاً [فضرب] دُبُرَه[١٤] الخادم وانتهره[١٥] القيّم: فلا يزال ذلك دأبه ودأبهم

١) ل: قوله.
٢) ل و اخ: يبلغ.
٣) ل: في؛ اخ: اوفى.
٤) ل: فاذا.
٥) اخ: حجبه.
٦) يفصل.
٧) ل: واخ: عما.
٨) ل: قد.
٩) ل: المختلة؛ اخ: المختلة.
١٠) ل واخ: المعرفة.
١١) اخ: ويفيده.
١٢) ل و اخ: ويزيده.
١٣) ل و اخ: يكفيه.
١٤) ل: او يضرب دبره الخادم؛ اخ: او يضرب صبياً دبره الخادم.
١٥) اخ: وانتهزه.

حتى يفهم الإغراء والزجر والتعدية[١] والانتهار ، كما يعرف الكلب اسمه إذا ألحّ عليه الكلاّبُ به وكما يعرف المجنون لقبه وكما يخضر الفرس من وقع السوط لكثرة وقعه بعد رفعه عليه .

[...] فإذا استحكمت هذه الأمور في قلبه وثبتت[٢] في خلده وصحّت في معرفته فهو [اخ ٨٦ و] حينئذ بالغ محتمل وعند ذلك يسخّر الله سمعه للخبر الثلج أو بصره لمعاينة الشاهد المُقنع على يدي الرسول الصادق ؛ ولا يتركه هملاً ولا يدعه مُغفلاً ، وقد عدّل طبعه وأحكم صنعه ووفّر أسبابه ؛ فلا يحتاج عند معاينته رسولاً يُحيي [ل ١٨٥ و] الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويفلق البحر ، إلى تفكير[٣] ولا تمثيل[٤] ولا امتحان ولا تجربة ، لأنه قد فرغ من ذلك أجمع واستحكم عنده العلم الذي[٥] أدّب به وهيّئ له وأورد عليه ؛ فإن كان لم يكن لذلك عامداً ولا إليه قاصداً ولا به معنيّاً[٦] ، وإنما هو عبدٌ عبّأه سيده ورشّحه مولاه وهيّأه خالقه لأمر لا يشعر به من مصلحته ولا يخطر على باله من الصنع له حين غذّاه به وقاده إليه وهيّأه له ، فإذا ورد عليه دعوى رسوله ، وأمته تشهد له بإحياء الموتى وفلق البحر وبكلّ شيء قد عرف عجز البشر عن فعله والقوّة عليه ، علم بتجاربه المتقدمة لعادة[٧] الدنيا أن ذلك [ليس] من صنع البشر وأن مثله لا يقع اتفاقاً وأن الحيل لا تبلغه ؛ فلا يمتنع من رؤية البرهان وفهم الدعوى أن يعلم أنّ الرسول صادق وأن الرادّ عليه كاذب .

[...] ولولا أن هذا كلام[٨] لم يكن من ذكره بدّ لأنه تأسيس[٩] لما بعده ومقدمة[١٠] [ل ١٨٥ ظ] لما بين يديه وتوطئة له ، لاقتضبتُ[١١] الكلام في المعرفة اقتضاباً ، ولكن يمنعني عجز أكثر الناس عن فهم غايتي فيه إلاّ بتنزيله وترتيبه ؛ وكل كلام أتيتَ على فرعه ولم تُخبر عن أصله فهو خداج لا غناء عنده وواهن لا ثبات له .

١) ل : والتنفئة .
٢) ل : وثبت .
٣) ل : تمكير .
٤) ل : تميل .
٥) اخ : باالذي .
٦) ل و اخ : مغيباً .
٧) ل و اخ : بعادة .
٨) ل : الكلام .
٩) ل و اخ : لا تأسيس .
١٠) ل : ومقدمه .
١١) ل : لا اتقضبت .

الايمان المسيحي والحاد اليوم

بقلم الأب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

عالمنا في تغيّر جذري . نشهد اليوم ولادة عالم جديد . فالمفاهيم تتبدّل وطرق الحياة تتقلّب وتفكير الإنسان يتحرّر من تقاليد اثقلته فيعود من دنيا الماوراثي الى دنيا الاختبار حيث تنقضي أعماره وحيث الألم والفرح وحيث الجوع واللذة والموت .

دنيا الاختبار ، دنيا العلم والتقنيّة ، دنيا الاكتشافات حيث عقل الانسان سيّد ولا سيّد إلاه . ولم التوق الى ما وراء الآفاق الانسانية ولم اللجوء الى الاسرار ولم الفزع الى الله ؟

كان إنسان البارحة يتوق الى الاستقلال الذاتي ، الى الحرية المطلقة التي تميّزه . وكانت صلاته العائلية والمهنيّة تكوّن أعظم أوقات حياته . له نفسانيّة لا يدخلها أحد ولا يُعرف منها شيء ما لم يتنازل الانسان ويُعطي في ذكرياته تحليلاً عمّا يختلج به قلبه من اشواق وتوق وأمل وتقلّبات عاطفية وطموح الى الله . وفي خدمة هذا الانسان كان المجتمع . ولطالما سمعنا الكتّاب والفلاسفة والوعّاظ يتكلمون على كرامة الشخص البشري وضرورة احترامه وقيمته اذ كُوِّن على وجه الخالق الذي يراه بعطف لا يعلوه عطف .

امّا انسان اليوم فيعيش خارج نفسانيّته . شخصيّة لا يتملك عليها الاّ في صلته بغيره . ولن يكون لإنسان اليوم من وجود ما لم يتعرّف على غيره ويلصق به . فهو لايعيش في استقلال ولكن في نسبيّة الى غيره والابعاد الاجتماعية هي من صلب شخصية انسان اليوم وانسان الغد . فانها اساسية لتكوينه . فلن تستطيع بعد اليوم ان تقول ان الانسان شخص

يُخدم . انما علينا ان نقول إنه عضو في مجتمع يتكاتف مع اخيه الانسان لصالح الجميع .

فبينا تتحوّل العقلية على هذا الشكل ، وبينا الانسان يكتشف نفسه قوياً بالتكاتف مع اخيه الانسان . وبينا يعلم بالاختبار اليومي ان بوسعه ان يخدم أخاه الإنسان دون عودة مستمرّة الى قوة علويّة سرمدية لا يراها ولا يعلم عنها الاّ ما علمه ايّاه الوحي والكنيسة فيقوم انسان اليوم الى الدعوة الصافية ان الانسان مخلّص اخيه الانسان وان الانسان ربّ الكون وأن على الله ان **يموت ليعيش الانسان** ، اذ لن يحيا الانسان ما لم يمت الله . هذا ما يسمّيه بعض لاهوتيي هذا العصر بلاهوت موت الله . انتصر هذه الفكرة الملحدة ، اول من انتصر ، الفيلسوف الالماني نيتشه وبعده الكاتب الفرنسي سارتر وجانسن وغيرهم تسندهم بعض الحركات الاجتماعية القويّة كالشيوعيّة ومن انتمى اليها والى افكارها وقوانينها من الحركات الاجتماعية التي تدين بالفكرة التالية : يجب ان يعيش الانسان من الخبز لا من افكار وعقائد وان سمَت ، يجب ان يكون له في هذه الارض المأوى والمسكن والعيش واللباس ولا يتوق الى غير ذلك . وما عدا ذلك فهو أفكار يجب بترُها وهدمُها والتخلي عنها . قرون مضت كان فيها الانسان عابداً ومعفّراً الجبين امام الالوهية وها هو اليوم يجوع ويعطش ويموت فلم ينفعه دين ولم تسانده عقيدة ولم يفرّحه ايمان .

ولمَ اذاً كل هذا فليعد الانسان الى نفسه وليكن محور حياته ولا يرضى بمحور غيره فيخلُص .

هذه صورة مصغّرة عن الحاد اليوم وعلينا الآن ان نكتشف اسباب هذا الابتعاد عن الله وهذا التحدي المقيت . انما علينا قبل ذلك ، ان نحلّل من الاسباب اهمَّها ، ان لا نزدري بالملحد وله صدق حياة واستقامة ضمير وصواب تفكير ، علينا ان نحترمه . ولربّما ساعدنا الملحد ان نقوّم السبل التي نسلك وان نجدّد التفكير الذي نفكّر ونبتعد عمّا يفصل في حياتنا بين الايمان والعمل . فنوحّد بينهما ، وتكون شهادتنا اقوى برهان يجعل الملحد يفكّر ويعود عن غيّه الى الطريق المستقيمة التي بدؤها الله وغايتها الله

في محبّة تفتح ذراعيها لتُعطي ؛ وتضمّها في النهاية على من اراد بضمير صافٍ وإرادة حيّة ووعي روحاني ان يسير على طرق الحياة . وهدفُه الاستقامة وخدمة القريب والتنقيب المستمرّ عن المطلق في وجه اخيه الانسان ليجد يوماً المسيح المخلص في كنيسة ؛ وان كان اعضاؤها خطأة : تظلّ عامود نور وطريق الخلاص والهدى.

لم يتوقّف المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عند ذم الالحاد والحكم عليه . وهي امور مفروغ منها اذ كان الباباوان بيوس الحادي عشر وبيوس الثاني عشر قد اصدرا رسائل دينية اجتماعية تفنّد آراء الملحدين ومذاهبهم الفلسفية العقائدية وتنبذها كمغايرة للمسيح وللدين وللكنيسة وللشخص البشري بالذات . فاراد المجمع ، « في أمانته لله وللانسان ، وفي نبذه بألم وبقوّة ما بعدها قوة ، المبادئ الإلحادية » أن ينحني على الملحدين أنفسهم وأن يستخلص الأدلّة والبراهين التي تتركّز عليها مواقفهم وتبرّر مطاليبهم . فتكلّم على الملحدين باحترام كلّي ورحبّ أن يرى ، بادئ ذي بدء، في وجهة نظرهم ، الصدق والاستقامة . . .

فمن هو الملحد؟

ليس الملحد من اذا رفض هذا الدين أو ذاك ؛ وآمن بوجود كائن مطلق هو بدء الخليقة وغايتها ، يعود الى ضميره فيعيش حسب اوامره ونواهيه ويُخضع حياته لمقتضيات والزامات الشريعة الطبيعية التي هي في اعماق الضمير صوت الخالق . وكم من الذين لا يمارسون دينهم في البلاد المسيحية نستطيع ان نراهم من خلال هذه الصورة . فهم ، وإن لم يمارسوا دينهم ، يظلّون مؤمنين لا ملحدين .

ولكن أنستطيع أن ندعو ملحداً من لم يتساءل ابداً عن وجود الله، وهو خالٍ من كلّ حيرة وقلق ديني روحاني ؛ غير آبه للدين، وذلك امّا لقلّة اهتمام او لقلة ذكاء في الانسان وامّا لحب الاقتداء بصديق او لعدم توفّر الوقت ، اذ الحياة تمتصّ الحيوية كلها ولا تدع الإنسان يعود إلى قرارة نفسه ليتساءل ويفكّر ؟

امّا الملحد فهو ذلك الذي بارادة واضحة يرفض وجود الكائن المطلق، خالق الانسان وربّه. به يعيش الإنسان وإليه يعود.

وهنا السؤال الذي علينا أن نطرحه: أمن الممكن ان يرفض الانسان وجود الله. وقد قال كاتب فرنسي: وجود الله لا يتعلّق بقبول او برفض عبيده. كما أن الشمس لا تطالها الاوساخ التي تُنير. او بعبارة أخرى: ايستطيع الانسان ان يقول ان الله غير ممكن ليضمحلّ الله من الوجود وليُترك الكونُ والانسان لقوى لا يُعرف اصلها ولا تقدّر ابعادها. وبعبارة اخرى: الالحاد النظري ممكن هو؟ والانسان لا يستطيع ان يفوه بكلمة دون ان تستند تلك الكلمة الى الله لتكون في الوجود آمنة واضحة ثابتة. ولكن ما لنا وللالحاد النظري وعلينا أن نحلّل أسباب إلحاد اليوم.

ه

والسبب الاوّل هو عبادة العلم ونسبيّة الحقيقة:

ينكمش الانسان على نفسه ويكتشف قوته في الابداع فيعود ويقول: لا شيء خارجاً عمّا نراه ونتحسّسه. فمن انكماشه على نفسه الى الإنكماش على الكون وما فيه؛ ومن الانكماش على الكون إلى نكران وجود الله خطوة صغيرة حملت الانسان الى رفض مسبّب الكون وإلى رفض كل شرح يُعيد للكون معناه وقيمته. إنما الملحد يقول: ولم كلّ تلك السؤالات؟ فهي تضيع الوقت والوقت لبنيان المدنية الحديثة وخلاص الانسان. فلا حاجة الى السؤالات عن وجود الله؛ والعلم والاقتصاد يشرحان الانسان في كل متطلّباته ويعيدان اليه نشاطه وقوته واعتبار نفسه. فلا يخضع لآخر لا يعرفه ولا يستسلم لقوى غريبة عنه.

امّا النسبية فهي أنّ يقول الانسان: كيف يستطيع بشر ان يتوصّل الى الحقيقة المطلقة وهو محصور بين جدران هذا العالم؛ وهو فانٍ؛ وهو يتطوّر؛ فما عبَدهُ وهو صغير؛ يرفضه في سن البلوغ. فلا حقيقة مطلقة ولا كائن مطلق انما الحقيقة نسبيّة ترافق العمل وترافق الانتاج ولا حاجة الى غير ذلك. كفى الانسان ما ينير طريقه اليوم.

ه

أمّا السبب الثاني لإلحاد اليوم فهو تعلّق الانسان بالانسان. وكأنّي بانسان

اليوم يتعلّق بالانسان اكثر من انه ينفي وجود الله . فوجود الله يتوارى وراء اهتمام الانسان بالانسان، فيتناسى المخلوق خالقه وينساه ولا يعود أبداً لملاقاته . وقد وجد في أخيه الانسان وفي مساندته لينال ملء الثقافة والتحرّر والعلم كل ما يبتغيه على هذه الأرض . ولذا نرى الفلسفة والعلم والآداب تحصر مهمتّها بالانسان لدرجة ان العلوم اللاهوتيّة ، تجاوباً مع تطوّر الفكر الانساني في هذه الوجهة تأخذ من الانسان بدء تفكيرها وتعود الى الله الباري والعاطي والمثيب ، لتعطي للانسان ولما يصدر عنه ركيزته الأصلية والاسس التي بدونها يهوي دون رجعة .

ترنّ في آذانهم كلمات الفيلسوف الملحد جان بول سارتر : تبنى الانسان اذا انكرتَ الله . وتُنكر الانسان اذا اقررت بالله . وكأن الله عدو الانسان وكأن عودة الإنسان الى الله ، عودة الى ما يهدم الإنسان ويكبّل حريّته ويستعبده ويجعله شيئاً بين الأشياء ، لا ذلك الشخص الذي إذا استند إلى خالقه وَجدَ الكرامة التي منبعها منه ، والحرّية التي لا سند لها الاّه ، وقد أراد ان يصير إنساناً ليتآخى والانسان وليعيش معه معركة الحياة في نضال مستمرّ في التفتيش عن الكمال الذي هو الله . وربما في ما سيأتي من التحليل توضيح لهذه النقطة .

ج

والسبب الثالث لإلحاد اليوم هو الفكرة الخاطئة او الصورة التي تعلّمها الملحدون عن الله او التي وجدوها في محيطهم . فبرفضهم تلك الفكرة او تلك الصورة رفضوا اله الإنجيل ، اله ابراهيم واسحق ويعقوب وابا سيّدنا يسوع المسيح .

علينا ان نقف هنا متأملين مسؤولية المسيحيين في ابداء هذه الفكرة المغلوطة أو تلك الصورة المزيّفة للاله الحقيقي ، الاب الذي حمته رأفته فاحبّ ان يخلق الانسان على صورته ومثاله ، للصديق الذي يرافق الانسان في ألمه ، يتألم معه ويفرح معه وقد أراد الانسان كاملاً ، سائراً على طريق الخلاص ، يضع كل مقدراته في سبيل اخيه الانسان ، يعيش معه متآخياً في ألفة وحنان ومحبة ليسير وإياه الى الغاية الوحيدة ، رؤيا الخالق في ابدية غبطة وفرح .

إنما علمنا الطفل صورة لا تفي بحق الله . وجعلنا الله ذلك الجبّار الذي بسيفه يناظر الانسان فيتدبّر اموره لا برفق وحنان ولكن بقساوة مآلها جهنم النار . نعم الله العادل وجهنم موجودة والمسيح الاله تكلّم مرات عليها في انجيله الكريم . انما الحياة المسيحية قبل ان تكون حياةً سلبية تُقضى في الخوف والوجل هي حياة ايجابية تُقضى مع المسيح في خدمة وعطاء : في بذل وسخاء : في شهادة للآب السماوي وللمسيح المخلّص . وتكوّن تيّار تكاتف وحوار مجدي لبرفع المسيحي - ايّاً كان : محيطه ويسير به الى مستوى الابوة السماوية دون ذعر او توانٍ ودون اهمال . وهذا ما نراه في الانجيل اذ شبّه الحياة مع الله بالوليمة . وانجيل لوقا يُدعى انجيل الفرح وبولس الرسول ردّد والحّ ان الحياة مع الله فرح هي وغبطة في نور ضمير واستقامة ارادة واستمرار عطاء لا في ضغينة وحقد او في بعض العبادات وتكاثرها او في بعض الركعات والمطانيات التي لا تجدي نفعاً الّم تكن مروحنة بالروح وبالمحبة الصادقة ، بالأمانة المستمرة لخير القريب وللخير العام .

ولهذا يعود المجمع المسكوني فيقول ان تنقّى فكرة الله والصورة التي نبرزها للعالم ، اي ان نعود للانجيل ، وكلام المسيح رب الكلام ، اذ ، كما يقول الفيلسوف باسكال : لا يتكلّم حسناً على الله الاّ الله .

ـ

والسبب الرابع لإلحاد اليوم هو مشكلة الشرّ . مشكلة المشاكل . وكأن الله خلق الأبرياء ليعذبهم ، وجعل الألم في الطفل ليراقبه ويفرح ، وخلق الموت ليخيف الانسان .

مشكلة الألم حجر عثرة أمام إنسان اليوم : لمَ الغني والفقير . لمَ الفرح والحزن ؛ لمَ المعذّب والمتنعّم . فاذا كان الله صالحاً وعادلاً لمَ هذا التفاوت في الحياة وفي اقتسام خيرات هذه الحياة . فالمسؤولية عليه تقع واليه تعود . ولا مردّ لكلام الملحد الذي يقف مذعوراً امام شقاء وتعاسة البعض ، القسم الكبير من البشريّة . ويستنتج : لا إله ولا معبود ، اذ لو كان حقيقة لما سمح بهذا الشقاء وبتلك التعاسة .

ولا ينظر الملحد إلى الخطيئة التي ارتكبها ويرتكبها الإنسان بحرية تامّة ، غير آبه لما ينتج عنها من أنانية وأثرة ، من بغض وغيرة ، من تسلّط

وجور . فاذا كان الله مسبّب الخطيئة ، وهو الصالح المطلق والخير المطلق ، فحسناً يصنع الملحد بأن يرفضه وينفي وجوده . واذا كان الانسان حرّاً في توجيه حياته . حتى وفي اهانة الله ، فلمَ نجرّم الله ونتركه مسؤولا عمّا ينتج من عمل الانسان الذي به يريد ان يؤكد استقلاله عن الله وحريته كبشر حتى وان كسر بينه وبين خالقه ، وبالتالي بينه وبين اخيه الانسان اواصر المحبة والألفة والسلام ؟

نعم ، لا ننكر ان المسيحيين في أزمنة غابرة كانوا يمثّلون الله حامياً للثروة ومدافعاً عن الأغنياء . لا نُنكر أنهم اعطوه سيف النقمة لينتصر لمن يساعدون الكنيسة ويستعبدون الانسان . ولكن لم يمثّلوا هؤلاء العقيدة في صفائها ولا الدين في جماله وفعاليّته . كانت أزمنة ومضت والحمد لله . والكنيسة في كل هذه الأزمنة الغابرة كانت دوماً تدعو الجميع الى محبة صافية والى امانة كاملة ، وان غضّت النظر بين الحين والحين مستسلمةً لأهواء بعض الأفراد . انما كانت دوماً تنفض الغبار عنها واعضاؤها خطأة لتعود بهم الى القداسة التي هي منبعها بقوّة من أعطاها السلطان لغفران الخطايا ولتقديس البشر ولإراحة الضمائر في عالم هي منه بمثابة الروح من الجسد .

٥

السبب الخامس لإلحاد اليوم هو الآلهة الكذبة التي اختلقها الانسان على صورته ومثاله : كوّن الانسان لنفسه بعض الآلهة كُمُثُل يستطيع بها ان يغذي حياته وان يتفوّق على مشاكله فأعطى الرياضة والفن والوطن والعرق والجسد وغيرها من المُثُل قوّة سماوية يتوصّل البعض بواسطتها أن يعيشوا في حرارة انتباه وفي فتور ايمان أمام مشاكل هذه الحياة التي لن تتركهم بعيدين عن القلق والحيرة . كذلك الشيخ الهرم الذي بعد ان قضى الساعات ينتبه لمبارات رياضية في ريو دي جانيرو أخذ يردّد وهو قلق عند انتهائها : أستطيع الآن ان اترك هذه الأرض وقد رأيت ما كنت أريد رؤياه .

فكيف يستطيع أن يعود الى الله من لا تهمّه في هذه الارض الا المبارات الرياضية او جمال الأجساد او حمامات البحر ... ونفسه لا تتعرف

الى اعلى أو هو الذي يُخمد توقّ نفسه الذي لا يُصدّ ويذرّه بالرماد لتهدءته الى ان يزبل ويدخل في سبات عميق .

والله بعيد عن الحسّيات وافراحه قلبية لا تُرى . وافراح هذا العالم حسّية منظورة قريبة . والانسان ضعيف . فكيف لا تضعف إرادته وتفتر عزيمته أمام ما يقدّمه له الكون من جمال ولذّة فيفضلها على ما يعطيه الله والايمان به في اعماق ارادة وطيّات قلب قال عنه اغسطينس : خلقت قلبنا يا الله وسيظلّ حائراً الى ان يثبت فيك .

*

هناك سبب سادس، الا وهو البيئة التي نعيش فيها . فالتمدن اليوم وان لم يكن مرذولاً في أسسه، فانه يرتكز تماماً إلى الأرضيات . وهذه الأرضيات تجعل صعباً التقرّب الى الله .

التمدّن الحديث الذي نعيشه ، وكل منا يعلم ذلك ، يحصر اهتمام الانسان بما يتعلّق بالانسان نفسه ، بحياته الارضية من اكل وكساء وجمع مال وكسب الفوائد الكبرى والاقتصاد والمصانع والرفاهية البيتية الى ما هنالك من ضروب الجهالات التي تنهر قلب الانسان وتجعله يلتصق بالارض فلا يعود يعرف لون السماء . وهو ، وأظنّه هكذا ، وهو ، ولست بنبيّ ، وهو في هذه المغريات سيغوص ، وستكون له سهلة المنال « وبكبسة زر » يُعطى له ما يريد من بارد وحارّ ومن ضروب الراحة إلى ان يشعر في قرارة نفسه أنه استُعبد للمادة وانه اكبر منها، فيعود يصعد سلّم التفكير والتأمّل ليستعيد بين وفرة الحسّيات كرامة نفسه وقيمة انسانيّته، ليكون ويظلّ ملك الأرض ومحور الكون لا عبده . فيقترب إذاك إلى الله وتكبر بينه وبين خالقه المودّة الخالصة ويصير إلى ازدياد إلى ان يختبر عظمة الخالق وتفاهة الخليقة .

*

واخيراً السبب السابع، حياة المؤمنين سبب من اسباب الحاد اليوم وهذا ما يكوّن لنا مشكلة عويصة إن انتبهنا .

ايمان المؤمن ، ولا أظنكم ترفضون لي ما سأقول ، التزام في بنيان الكون وفي تجديد العالم وفي تكوين ما ليس موجوداً بعد . فمستقبل الكنيسة ليس في أن تظلّ سلبية بلا حراك . كوّن المسيح الاله كنيسته (والمؤمنون كلّهم هم

الكنيسة) لتنمو : لتظل في حركة مستمرة . فهي تتوق الى المستقبل كما انها تتوق الى الماضي حيث اساسها وبدء حياتها.

نسمع اليوم وسمعنا في الاشهر الماضية يوم قام الطلاب يطالبون بتجديد في لبنان وخارج لبنان أنه يجب ان يولد عالم جديد . والامور هكذا فكيف يستطيع المؤمن وهو الذي قرأ وطالع كلمة المسيح في الانجيل انه ولد من عل ، كيف يستطيع رفض التكاتف في سبيل بنيان الارض الجديدة . ولكن عضواً فعّالاً في تجديد العالم، عليه ان يعيش هذا التجديد في صميم قلبه وحياته اولاً .

ولكن ، ويا للأسف ، ولكن المؤمن اذا لم يواظب على تربية ايمانه وازدهاره ونموّه ، اذا تغاضى عن ابراز ايمانه بالصورة اللائقة بالخالق والمخلص ، واذا تكاسل في حياته الايمانية وفتر في الايمان وفي الاخلاق وانزلقت به الرجل الى مهاوي الرذيلة ؛ واذا لم يعش مع مجتمعه آلامه وافراحه، عذابه وموته، وصدّ قلبه عن العطف والحنان وساعد على ان يقلّ الفقر وتخف وطأة التفرقة بين الطبقات الإجتماعية ؛

اذا تغاضى عن كل هذا واغمض العين كي لا ترى ما يجب ان يحرّك فيه شواعر الانسان نحو أخيه الانسان، فهو يسدل الستار الكثيف على وجه الله وعلى الدين ولا يشهد للإيمان هو فيه كلام وشكليّات ليس الاّ .

عظيمة اذاً هي مسؤولية المؤمن في عالم اليوم . فلا يكفي حضور القداس ولا الركوع ولا التبرك بالماء المبارك ولا أكل جسد الرب ولا تلاوة المسبحة ولا الصوم ولا الجلد ولا ... ولا ... الّم يكن المسيح حيّاً في حياتنا ، في التفكير والعمل ، في العقل والارادة ، في اللسان والاحكام ، في المعاطاة مع الناس ، وبكلمة واحدة : الّم يكن المسيح الالف والباء في كلامنا وحياتنا العملية ، في الخلوة والمجتمع ، في الظاهر والباطن وهو يتمجّد كما يقول القديس ايرناوس بان يحيا الانسان تلك الحياة العميقة التي تبدّل وتغيّر ، التي تبتر وتنقي لتزدهر وتزداد .

فكم من وثنيّ خارج الكنيسة يقول اغسطينس ، سيخلص . وكم من مؤمن داخل الكنيسة سيُدان لانه عرف ما هو النور وفضل الظلمة على النور .

وكم في اختباركم وفي اختباري نستطيع أن ندلّل على هذا وذاك من الذين تركوا الكنيسة ويعيشون وكأنهم لم يعتمدوا بدم المسيح من جرّاء هذا الكاهن الذي ليست حياته كهنوتية صادقة ؛ او من جرّاء هذا أو ذاك هذه او تلك من الرجال او النساء ممّن يقومون ببعض الواجبات الدينية وحياتهم بعيدة كل البعد عن المحبة في اللسان والأحكام وفي المجتمع وعمل الخير ومحبة القريب وصفاء النيّة في البيع والشراء وفي كل مظاهر الحياة : يأخذون الدين مطيّة ولا ايمان لهم . يأخذون الدين كظاهرة اجتماعية لا بدّ منها : يستحون ان لا يقوموا بواجبها امام الغير ولا يأبهون لروح تروحن اعمالهم وتجعلها على مستوى المظاهر الدينية . فالدين شكليات والايمان محبة. فالدين الّم يتفاعل بالايمان ظلّ حركات خارجية فارغة مضلّة ومضلّلة . فالمسيح هو هو من نؤمن به وهو من يروحن الدين ويوفّق ويؤالف بين الدين والايمان.

٥

هذا بعض الشيء من الأسباب التي تسهّل الالحاد . فما هو الدواء . اتينا على ذكر الدواء ونحن نحلل الاسباب تلك . انما علينا ان نتوسّع بهذا.

٥

يتوقع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ان يكون هذا الدواء في عرض العقيدة المسيحيّة عرضاً وافياً صادقاً من جهة ، ومن جهة ثانية في طهارة حياة الكنيسة وحياة اعضائها .

الكنيسة مسؤولة في أن يرى من خلالها وهي تتجدد بالروح القدس وبتوجيهه كل من ينظر اليها وجه الآب السماوي بكل ما فيه من عطف وابوّة وحنان ومحبّة ؛ ووجه الابن المخلّص يسوع الذي اراد ان يتأنس ليكون واحداً من جمهور البشر ، ويكون وحدتهم ايضاً حسب كلمة القديس ايريناوس : اتى ابن الله وتجسّد وأتانا بكل تجديد . او حسب كلمة اغسطينس : ليس المسيح واحداً من بني البشر فحسب انما هو الذي يوحّدهم ويجمعهم وهو الإله المتأنس .

فالكنيسة اذاً بحياتها تجعل الآب حاضراً . بغيرتها الرسولية على الجميع دون تفرقة تجعله وكأنه ظاهر بين مخلوقاته . بتضحيتها في سبيل الفقير

والمعوزين تجعل المسيح حياً كما كان في حياته التاريخية يحبّ العشّارين والفقراء ويرنو الى من بهم حاجة .

ولكن حضور الله الآب والابن المخلّص يكون فعّالا حقاً وواضحاً اذا ما اتحد المسيحيون قلباً واحداً وارادةً واحدة وهدفاً واحداً ليُظهروا من خلال وحدتهم الايمان الانجيلي . ومن خلال المحبّة الصافية : التي تجمعهم وتجعلهم يتفوّقون على اسباب التفرقة ، سياسيّة كانت أو اجتماعيّة أو فلسفيّة ، فعالية كلام المسيح الذي يُحيي ولا يُميت ، الذي وان بتر كل ما هو من الانسان العتيق أعاد الصفاء والحياة الحقة لتكوين الإنسان الجديد المجدّد .

انما هناك مشكلتان يتورّط فيها الملحد فيتساءل اولاً : الايمان بالله يضعف الانسان . وثانياً التفكير بالموت وبما بعد الموت يجعل الانسان يهجر الارض ليعيش في عزلة تختق فيه كل مقدرات طبيعية .

ولكن أيجوز لنا ان نقول ان الايمان بالله يقتل إنسانيتنا ويقلّل من كرامتنا ويستعبد حرّيتنا ويربطُها بأغلال ؟ كيف ذلك وكرامة الانسان من الله : تستند اليه وتتأصّل فيه وهو كمالها . كيف يُعقل ان الله الذي خلق الانسان محبّة ، يهزأ به لدرجة انه يستعبده ويعرقل مسعاه ؟ انما الله يصدّ الانسان مرّات لكي لا يخسر حرّيته في توافه الارض وقد جعله الله له : لا يريده آكلاً خرنوب الخنازير ولكن خبز الحياة والخلاص الذي يوجّه حريته نحو الداخل ، والى الفضائل التي تبني الحرية وتجعلها لا تنساق الى اهوائها ، والحرية ، على ما نعلم كلنا ، ليست ان نعمل ما نريد ولكن ان نوجّه مقدراتنا كلّها الى الخير الاعظم حيث الخلاص والغبطة .

امّا ان يهجر المسيحي الارض اذا ما اهتمّ بالآخرة وما اليها : ففي الأمر نظر . كثيرون يأخذون بهذا التفكير : فأما الارض وامّا السماء . ولكن ما هي السماء : أن نبني الخير والصلاح على هذه الارض ونجرّب ان تكون الأرض بواسطة الحياة المسيحية ارضاً جديدة فيها محبّة المسيح والألفة بين البشر والسير يداً واحدة نحو الغاية المتوخّاة : وهي ان نكون جميعُنا في رؤيا الله ابديّة الازمان التي لا نهاية لها . ولذا فالكنيسة تحثّ ابناءها الى ان يسهموا في بنيان الكون ، وأن يتعاطوا قدر المستطاع الاعمال الدنيوية التي هي لخير الانسان ، وان يقوموا بنشاطات اجتماعية مآلها الخير

العام ، وان يدخلوا في المؤسسات الدوليّة (ثقافية كانت ام اجتماعية او صحية) فيبثّون فيها روح المسيح ويُسهمون في خدمة اوسع وفعالية اكبر .

والمسيح الاله اعطى المثل اذ تجسّد في ارض معيّنة وفي شعب معيّن وخدم ارضاً معروفة وطلب الى جميع المؤمنين به ان يحبّوا بعضهم بعضاً في صفاء نيّة وفي خدمة نصوح . وعلى المسيحي اذاً ان يقتدي بمعلّمه فيتجسّد في محيطه وفي بيئته وفي مهنته ويعطي فيها الروح الطيبة والمثل الخيّر .

وفي هذا المضمار فالكنيسة تطلب الى ابنائها ان يسهموا مع غير المؤمنين في بنيان الكون ، وان يشتركوا معهم في تحسين الاوضاع الاجتماعية وفي إحقاق العدالة الاجتماعية التي طالما تألّم الفقير والعامل من فقدانها في حياته اليوميّة . فيكون المسيحي المؤمن في تكاتفه والحوار الذي يدور بينه وبين غير المؤمنين ، ذلك الذي بحكمة ووداعة يخدم الأرض وهو مؤمن حقاً ان الارض تزول وتتجدّد دوماً . وان زالت يوماً لتتجدّد حقاً ففيها يبني الانسان حياةً تكون حياةً انسانية زاهية سليمة أمينة تقوده الى التفكير بالله وبالروحيّات وتحمله على إحقاق القيم السماوية في تسيج عمله اليومي : في أرض هي سكنى القداسة لمن يريد وطريق الى الله لمن احبّ .

وان بادر المسيحي الى هذا الحوار والتكاتف فلن يقف عند غير المؤمنين انما يتعدّاهم ويُقيم حواره حتى مع مضطهدي الكنيسة : فبين غير المؤمنين اناس يقدرون القيم الروحية ويريدون خير المجتمع والانسان. وبين مضطهدي الكنيسة ربما وجد من باستقامة نيّة وصفاء ضمير يحارب الكنيسة لا لأنها مؤسسة دينية روحية ولكن لأنها لم تعط — وفي هذا قلة معرفة او جهل او تجاهل — ما كان عليها ان تعطيه في خدمة الانسان كانسان دون تفرقة بين غني او فقير .

على ان هذا التكاتف والحوار يجب أن يتمّا بفطنة وحكمة كي لا يغرب عن عقل المسيحي كل ما في الالحاد من مرارة عقائدية وتنكّر لخالق القيم ولرب الكون والانسان .

وما هذا التشجيع الذي تسديه الكنيسة لابنائها سوى انها ترى في من يقفون بوجهها سنداً لها في تطهير نفسها وفي عودة الى الباطن لتستوعب اكثر

فأكثر معنى كلام المسيح وعظمة رسالتها . فهم لها كمحك يوقظ ضميرها لتتفحّص من جديد وبعمق اكبر اساساتها وجوابها على ارادة المسيح الواضحة ، ولكي نرى اذا ما كان في مواقفها التاريخية او الراهنة سببٌ لشك او سببٌ لابتعاد البعض عن المسيح . وهي هكذا فانها تطلب من غير المؤمنين ان يعودوا الى انفسهم ليدرسوا انجيل الرب باستقامة وبدون احكام سابقة فيرون فيه ما يطمحون اليه ، ويصير الله ، في نظرهم ، لا ذلك الذي رذلوه في المتحف ووصفوه بان لا قيمة له ولا منفعة ، بل وانه مضرّ ، يصير في نظرهم ذلك الذي حتمته محبته الى الانسان فاحبه وجعل سكناه مع بني البشر فاراد ان يحرّرهم من عبودية الخطيئة ويعطيهم فرح الضمير وسرور القلب ، يدعوهم جميعاً الى الخير والكمال في هذه الدنيا ليتمّ الهدف الوحيد اللائق بخليقة الله : ان يجتمع البشر كلّهم في وحدة متراصة معه ومع المخلّص ومع الروح القدس .

•

الختام

المسيحي مدعو الى عمل نور وشجاعة . فهو نور العالم ، وملح الارض والخميرة في العجين ، حسب كلام المسيح الاله . فاذا كان يعود للسلطة الكنسية ان تعلّم وتفسّر بصورة صادقة المبادئ الدينيّة والاخلاقية ، فان مسؤولية المسيحي هي في ان يبادر في بث الروح المسيحية في العقلية الراهنة وفي الحياة اليومية ، في القوانين وفي المجتمع .

هناك تبديلات لا بدّ منها واصلاحات ضرورية يفرضها الزمن وتطوير العقليّات : على المسيحي ان ينفخ فيها روح الانجيل . ففي هذا الخير والتطور الصادق كي لا تستعبد الاصلاحات العتيدة انسان اليوم كما استُعبد في الماضي ، كي لا يتكوّن بعض الاجحاف ويصير الانسان إلى الخراب . فثورة الانجيل ليست ثورة القوة والعنف الوثني ، لكنها ثورة المحبّة تمثلاً بالمسيح : ثورة تريد عالماً أكثر إنسانية ، ثورة تكوّن مجتمع اشخاص حرة ومتكاتفين في المسؤولية حيث كلّ واحد يشعر بانه محبوب ومساند كقريبه وأخيه .

ففي هذا المجتمع الراهن المتبدّل تكمّل الكنيسة عمل الخلاص. فلا فرق ولا وحدة بين ملكوت المسيح وتقدم الانسان، بينهما تداخل لا يرى قيمته الاّ الايمان. في عالم يهدّده افتقار عقلي وأخلاقي وروحي، حيث الانسان يشعر بانعزال بين جمهور البشر وكأنه لا يُحدّ إلاّ بانتاجه وسدّ حاجاته المعيشيّة، فان البشارة الانجيلية تردّد صدى الأمل والرجاء: الانسان ليس في عزلة «لأن المسيح خلّص البشر كلّهم ووحّد في نفسه الخليقة كلّها. فهو غاية التاريخ البشري: اليـه تجتمع كل اشواق التاريخ والتمدّن. فيه محور الجنس البشري وفرح القلوب كلّها وملء تمنياتها جميعها». وهذه الكلمات الأخيرة هي كلمات الدستور الراعوي في الكنيسة وعالم اليوم الذي يُعدّ من اجمل ما اعطاه المجمع المسوني الفاتيكاني الثاني لإنسان اليوم.

ففي تبديلات الأزمنة تَلدُ الكنيسة الإنسان الجديد الذي خُلق على مثال الله في البرّ وقداسة الحق (افسس ٤/٢٤) ويعمل المسيحي المؤمن، بحياته وتفكيره ومعاطاته مع البشر، على خلق الأجواء المسيحية الصافية التي يستقيها كل يوم بعودته الى المسيح نور ضميره والحقيقة التي لا تعلوها حقيقة فيتجدد باستمرار ليجدّد كل ما له به صلة في حياته اليومية.

وهذا ما يساعده على ان يميّز في تبديلات عصرنا الراهن الأبعاد الانسانية والمعاني الروحية ومتطلّبات إنسان اليوم بحكمة وفطنة وتفتّح وفيه توق الى إنضاج المجتمع العتيد، متأمّلاً كلام المجمع الذي وجّهه إلى الشبيبة يوم كان ملتئماً: «إنكم ستخلّصون مع المجتمع هذا او ستهلكون معه». وقد زادهم يستحث هممهم قائلاً: ابنوا بفرح وتهلّل عالماً احسن من الذي بنوه اجدادكم». وليس لي كلمة انهي بها هذا المقال أصفى من كلام كهذا فيه روعة المعاني وعمق التفكير.

تعريف عن الكتب

للاب فردينان توتل اليسوعي

التذكار المئوي لاخوية الأم الحزينة

وثائق تاريخية عن بيروت— جمعية العمال وما اليها ١٨٦٣—١٩٦٣

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥، صفحة ١٣٠، قطع ٢٤×١٦

هذا الكتاب سفر من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية على مئة سنة اخذاً من سجلات الاخوية، فيه مع نصوص القانون الاساسي للاخويات الوثائق المختصة بالآباء مرشدي الاخوية (فيروفيلتش † ١٩٩٨ ؛ ادوار ميشل † ١٩٢٤ ؛ ديد † ١٩٤٤ ؛ ثابت † ١٩٤١ ، ابيلا † ١٩٤٦ ؛ توتل) واعمالهم ولا سيما وصف الرحلة الى الاراضي المقدسة بقلم جورج فغالي، وزيارة غبطة البطريرك تيودوسيوس السادس ودير البلمند. اضف الى ذلك ذكرى الاخويات في لبنان وسورية ومصر وبلاد المهجر مما يعز الاطلاع عليه بعد مرور الايام على وجوده . وفي هذا الكتاب عشرات وعشرات من الاعلام والصور: تحفة تحل محلها في سجل الحياة الدينية في بيروت وسائر البلاد الشرقية المسيحية . يهتدى اليها بفهارس متقنة وفي طبعة انيقة جميلة.

دخلت اخوية الأم الحزينة في جيلها الثاني، فعلى بركات الله وحماية السيدة العذراء ومرشدها حالياً الاب جورج عقل اليسوعي .

الملحمة الإلهية

تأليف الاسقف فلتن شين تعريب الخوري بولس ابو جوده

المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧، صفحة ٨٦، ٢٠×١٤

هو تعليم مسيحي في اخص اسرار ايماننا، مبسوط بطريقة مشوقة واسلوب عصري :

ميشال ستروغوف او الواجب المقدس

اقتباس ميشال ابي صعب

المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٧ ؛ صفحة ٢٢٤ ٢٠×١٤

هي رواية اخلاقية مفيدة لمعرفة الحياة في بلاد المسكوب ولدرس احوالها الجغرافية كما كانت على ايام القياصرة .

في مرّ اليسا

منشورات قدموس

طبع على مطابع الشركة الحديثة للطباعة؛ الثمن ٥ ل. ل. صفحة ٢٢٥ ١٧×١٢

رواية تمثيلية اخذت اوضاعها من تاريخ فينيقية بلغة عامية لبنانية .

امثال الانجيل

بقلم امين نخله من اعضاء المجمع العلمي العربي

مطبوعات دار الكتاب اللبناني في بيروت ، صفحة ٦٠ ٢٠×١٤

صوت المسيح

بقلم بولس نويا

طبعة ثانية منقحة ، صفحة ٩٠ ١٦×١٢

فتح العرب للصين ومعركة طلس او الطلخ لغزو بلاد الصين

للمستشرق الأنكليزي الكبير الدكتور دي. ايم . دنلوب والاستاذ بجامعة كولومبيا

بحث ترجمه عن الانكليزية يوسف يعقوب مسكوني

مطبعة شفيق ١٩٦٨، بغداد، صفحة ١٤ ٢٤×١٧

المطران فرنسيس ايوب كما عرفته بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته

بقلم جرجس الماراديني

منشورات الرابطة الكهنوتية — صفحة ١١٠ ١٩×١٤

وُلد فرنسيس سنة ١٨٩٩ في حلب من رزق الله ايوب ونجلا خكيم، جاء بكرًا لاثني عشر من البنين والبنات . في ١٩١٣ دخل الاكليريكية الشرقية التابعة لجامعة القديس يوسف اليسوعية (بيروت)؛ انقطع عنها ايام الحرب ١٤

ودخل الجندية بصفته عثمانياً ؛ وبعد الحرب عاد الى الاكليريكية فكمل دروسه تحت رعاية مديرها الاب متر (Maître) اليسوعي، وخدم كاهناً في ابرشية حلب المارونية من ١٩٢٥ الى ١٩٤٠ ؛ وسيم اسقفاً على ابرشية قبرص وقرنة شهوان ١٩٤٠–١٩٥٤ . وعاد الى حلب اسقفاً عليها وعلى اللاذقية ١٩٥٤ – ١٩٦٦ وتوفي في حلب .

على هذا المنوال الضئيل، نسج الأب جرجس ترجمة المطران ايوب فجاء بتحفة ادبية روحية جديرة بان تكون مثالاً يقتدى فيه بمثل تلك التراجم . لست ادري هل يوأخذه عليها بعضهم بالاسهاب التفضفاض بما لا يزيد الجوهر والمعنى لكنها على هذه الشائبة مفيدة ولا سيما اذا اتخذها التلامذة في صفوف البيان مثالاً للتحرير والانشاء اللذيذ المزدهر . بوركت يداك يا ابانا.

واهديت الى المشرق مؤلفات قيمة من قلم الاب جرجس الماردين‍ي : عشر تمثيليات من الانجيل ، مرتا ومريم ، في غياب زوجها ، وهي من منشورات المطبعة الكاثوليكية .

اعمال المجمع الڤاتيكاني الثاني المسكوني

الجزء الاول، المطبعة البولسية ١٩٦٦، جونية – لبنان، ترجمة المسرة صفحة ٢٣٢ ١٨×١٧

مغلف الكتاب مزين بصورة المسيح الملك اخذاً من اثر بيزنطي — جاء في التوطئة : اكببنا على النصوص المجمعية نكتنه معانيها بدقائقها على ما في اللغة الرسمية التي تعتمدها الكنيسة من صعوبة وعسر لاسترسال الجمل فيها طولاً وتداخلاً حتى لا تخلو مراراً من الغموض والاشكال .

واعتمدنا في الترجمة النص المجمعي بلغته اللاتينية ، واستعنا عليه ببعض ترجمات اجنبية ، ولا سيما ما ظهر منها باللغة الفرنسية في جريدة الڤاتيكان ، « الاسرفاتوري رومانو » ومجلة « الوثائق الكاثوليكية » .

وجاء في النظرة التمهيدية في المجمع الڤاتيكاني الثاني واعماله :

وقد جد قداسة الحبر الاعظم باعماله العظام اهداف المجمع في التجديد والتوحيد في سفره الى القدس ومعانقته في مهد المسيحية اخاه قداسة البطريرك المسكوني ، وفي اشتراك البابا بنفسه مع جميع المراقبين في صلاة واحدة بكنيسة القديس بولس بروما .

ولم يكن حج البابا الى الاماكن المقدسة لقاء مع الارثوذكسية فحسب ، بل كان ايضاً انفتاحاً على الاسلام وما فيه من جمال التوحيد والايمان بالله .

هي فقرات اخذناها من فاتحة الكتاب ؛ عسى ان تكون مشوقة لمراجعة الكتاب بكماله . فنهنئ مطبعة المسرة على تقريب مناله لاسرتنا ولسائر القراء ، فيعتكف عليه اجمع بالتأمل والتفهم والاستساغة ثم ينقلونه من حيّز النظر الى حيّز العمل وينمون فيهم وفي بيئاتهم والعالم اجمع عمل المجمع الخيّر البنّاء .

كتاب الايادي الضارعة

تأليف ميشال كواست — ترجمة الاب هكتور الدويهي

منشورات المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، توزيع المكتبة الشرقية — ساحة النجمة

بيروت ١٩٦٧ صفحة ٢٤٣ ١٣×١٩

صوّر المؤلف على الصفحة الاولى من كتابه صورة يدين مبسوطتين عنواناً للصلاة وللعمل الذي يدعو اليه المؤلف والمترجم . نتمنى للكتاب الرواج بين ايدي الناشئة خاصةً .

شارل دي فوكو رسول الاخوة الشاملة

بقلم جرجس القس موسى

منشورات المطبعة الكاثوليكية ؛ ١٩٦٨ صفحة ٢٦٠ ٢٠×١٤

في المشرق ٢٠ صفحة ٩٩١ ؛ مقال مختصر عن رسول الصحراء شارل دي فوكو ؛ وفي هذه السنة تعرّف القرّاء الى حياة هذا الرجل العظيم الشهير بجهالاته شاباً وباعماله المبرورة راهباً غيوراً امتاز بحياة تضحية فائقة وصار اداةً ربانية للتآلف بين المسيحيين والاسلام .

في ذيل الكتاب خارطة للبلاد التي عاش فيها بين فرنسة والشرق الادنى وبلاد شمالي افريقية خاصة وهي جزيلة الفوائد للتعرف الى تلك المنطقة التي ظلت زماناً بعيدة عن العمران .

قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اقسام . القسم الاول الفتى الطليق ١٨٥٨— ١٨٨٦ تهافته على الملذات ؛ القسم الثاني ١٨٨٦—١٩٠٠ هدايته في الناصرة : اعترف بخطاياك وسوف تؤمن ، القسم الثالث ١٩٠١—١٩١٦ في قلب الجاهير الناسك المتقشف الواعظ مؤسس الرهبانية : اخوة يسوع الصغار— اخوات يسوع الصغيرات . وهذا الكتاب هو تاريخ وعنوان لحياة القداسة : تتمنى له النجاح بين قراء الشبيبة خاصة ولغته العربية الفصحى خير مهذب لتحسن الانشاء في المدارس .

الله محبة

كتيّب توزعه وترسله مجاناً جمعية «السلام والمحبة»

صندوق البريد رقم ١١٥١، بيروت – لبنان مطبعة تلفاظ بيروت؛ صفحة ٤٥، قطع ١٢×١٧

ان المجمع الفاتيكاني الثاني كثيرًا ما يدعو الى معالجة العقائد الدينية بين المسيحيين بالمحادثة والمحاورة المؤدية الى التفاهم والتآخي والمحبة، وهذا الكتيّب مفيد بالمواضيع التي يطرحها للمحاورة dialogue وفيه مع التعاليم المسيحية عن افعال الرحمة آيات من القرآن الكريم الداعية الى معرفة الله والى الاعمال الصالحة.

الشيخ طه الولي

بقلم عبد الرحمن الاوزاعي – شيخ الاسلام وامام اهل الشام

دار صادر بيروت ١٩٦٨، صفحة ٢٥٤ ١٧×٢٤ مصور، الثمن ٦ ل. ل.

جاء في الصفحة الاولى من الكتاب دراسة مفصلة تتناول تاريخ الامام الاوزاعي والمؤسسات المنسوبة الى اسمه والتقاليد الشعبية المتأثرة بمكانته الروحية مع مجموعة من الرسوم والوثائق التوضيحية.

وصفحات هذا الكتاب أشبه منها بصفحات جريدة تروي الاخبار على علاتها والاخبار والحوادث والاحاديث عن هذا الرجل لا يكاد يحصى لها عدد فكُتبت للبنيان الروحي ولرفع النفوس الى الصالحات.

قال صفحة ٤١: «ولما مات الاوزاعي رضي الله عنه اجتمع للصلاة عليه ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى، وروي انه اسلم في ذلك اليوم من اهل الذمة اليهود والنصارى نحو ثلاثين الفاً».

ودائرة المعارف الاسلامية بترجمتها العربية تقول عن الاوزاعي ان اصله وفصله مجهول وتخصه باسطر معدودة لا غير.

الاصول العربية للدراسات السودانية

بقلم داغر يوسف اسعد

صفحة ٢٦٢ ١٧×٢٣، مطبعة النجوى بيروت ١٩٦٨ – ويطلب الكتاب من مؤلفه ملك عبد الباقي – شارع المعماري، ومن المكتبة الشرقية ساحة النجمة ص. ب. ١٩٨٦ بيروت

Bibliographie وتعريبها بيبليوغرافية هو علم التعريف بالكتب. وهذه «السودانية» تضم نحوًا من الفي مصدر او مرجع في الدراسات من كتب

وضعها او ترجمها سودانيين تجد لأنحتها مفصلة ومرتبة الترتيب الابجدي بين صفحة ٢٣٩ و٢٥٦؛ وتشمل فصولها الدين وابحاث دينية وكلها اسلامية مما يساعد على التفاهم والتقارب بين اهالي بلد واحد؛ وفيها الكلام عن الادب على العموم: وفي اللغة والنقد والسفر والقصة المسرحية والدواوين والدراسات الاجتماعية والتعليم والتاريخ والجغرافية والاسفار وفي علوم الاقتصاد والزراعة والصحة والفنون والى غير ذلك مما يجعل مراجع هذا الكتاب كدائرة معارف لا غنى عنها لمعرفة ما يمتاز به القطر الشقيق؛ وما اجهل الكثيرين من قراء العربية لمحتوياته وان الفهارس في زيل الكتاب خير دليل لتقريب موادها للقراء.

فقد طلبت سعياً مشكوراً في جمع اعدادها وتنسيقها ، ولا عجب ان قام بهـا السيد يوسف اسعد داغر من له الاثار الطيبة في المكاتب الاختصاصي بعلم المكتبات والتوثيق العلمي .

ارسطو — دستور الأثينيين

عرّبه عن اصله اليوناني وعلّق عليه الاب اوغسطينوس بربارة

اللجنة الدولية لترجمة الروائع — بيروت ١٩٦٧ ؛ المطبعة الكاثوليكية ؛ صفحة ١٨٩ ١٧×٢٢

نشكر للاب اوغسطينوس بربارة اقدامه على تعريف القراء بهذا الاثر اليوناني الجليل فقد احسن بتعريبه وتقريب معانيه وتوضيحه بالحواشي التاريخية. وان هذا الكتاب لنتج في تاريخ الادب على ما فيه من فهرس الاعلام اليونانية وترادفها بالعربية .

لوقيانوس السميساطي — مسامرات الأموات واستفتاء ميت

نقله من الاصل اليوناني الى العربية وقدم له وعلق عليه الياس سعد غالي

مجموعة الروائع الانسانية — الاونسكو — السلسلة العربية — اللجنة الدولية لترجمة الروائع — بيروت ١٩٦٧؛ صفحة ١٦٧ ١٧×٢٢ المطبعة الكاثوليكية — فهرس الاعلام صفحة ١٤١ الى ١٦٧

هذا الكتاب مفيد جداً للتعريف بالاسماء اليونانية ومرادفها بالعربية؛ فهو مصور وفيه خارطتان لبلاد اليونان وآسيا الصغرى؛ ولما بين رسالة الغفران لابي علاء المعري ومسامرات لوقيانوس من توارد الافكار توّج الناشر نصوصه ببيت من الشعر للمعري. فهو خلاصة لها وتوطئة لدراسة مقابلة بين الأدب العربي والادب اليوناني فاحسن .

النفس البشرية عند ابن سينا

نصوص جمعها ورتبها وقدم لها وعلق عليها الدكتور ألبير نصري نادر

من اساتذة الفلسفة في الجامعة اللبنانية

دار المشرق المطبعة الكاثوليكية، ص. ب. ٩٤٦ بيروت لبنان صفحة ١١٦ د٢٥×١٨
ورق صقيل طبع جميل وضاح

يحوي هذا الكتاب بعض النصوص الخاصة بالنفس الانسانية، متبسة من رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها، والفصل الاول والثاني من كتاب الشفاء وفصلاً من كتاب الاشارات والتنبيهات. والمقالة السادسة من القسم الثاني من كتاب النجاة رجع بها الناشر الى الطبعة التي نشرها ف. الرحمن F. Rahman في لندن ١٩٥٩ وقدم لها بدرس تحليلي وتعليقات مفيدة لطلاب الفلسفة العربية الاسلامية خاصة ولقراء العربية عامة.

من مقدمة ابن خلدون

نصوص جمعها ورتبها وقدم لها الدكتور البير نصري نادر المذكور سابقاً

دار المشرق المطبعة الكاثوليكية، صفحة ١٧١ د٢٥×١٨ السعر ٧٥٠ غ. ل.

في هذا الكتاب ترجمة مختصرة لابن خلدون ومنتخبات من المقدمة بستة ابواب.

الفكر

مجلة ثقافية — تصدر بتونس شهرياً مؤسسها ومديرها المسؤول محمد مزالي

رئيس التحرير البشير بن سلامة

طبع وحفر الشركة التونسية، صندوق البريد ٥٥٦ تونس، صفحات النشرة حوالى المئة شهرياً
قطع ٢٤×١٦ — مصور — تصدر المجلة عشر مرات في السنة، قيمة الإشتراك السنوي ديناران

بين يدينا اربع نسخات من مجلة الفكر للسنة ١١ العدد ٨ ايار ٩ حزيران، ١٠ تموز ١٩٦٦؛ وللسنة ١٢ العدد ٤ كانون الثاني، ٢ تشرين الثاني.

جاء في مقدمة العدد ١٠، ١٩٦٦

«لاحظنا ان اخواننا في المشرق يكادون يجهلون كل شيء عن الادب التونسي... فسعينا وما نزال نسعى الى اعانتهم على الاهتمام بالادب والادباء في هذه الديار. والحكم له ولهم او عليهم بعد درس الوثائق و... تبادل

المعلومات مع ذوي المسؤولية منهم ولعلنا وفقنا الى بعض ما نريده ... عشر سنين بعد استقلالنا » .

هذا واننا نرحب بمجلة الفكر وندعو الى مطالعتها لما فيها من مقالات شائقة وافادات علمية رابطة بين الشعوب العربية .

الاذاعة والتلفزة

مجلة مصورة تصدرها الاذاعة والتلفزة التونسية مرتين في الشهر

مطبعة كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار ، قطع ٢١ × ٢٧ رئيس التحرير عبد المجيد النيفر

بين يدينا العدد ١٨١ و١٩٠ من السنة الثامنة، وكلاهما دليل على حركة العمل والنشاط في ميادين الثقافة والادب .

ان الرئيس حبيب بورقيبة مشهور في العالم بما احدثه من التطور السريع في حياة البلاد التونسية . تصفح مجلة الاذاعة فترَ مع برامج الاناشيد تفاصيل حياة الجمهورية التونسية لكل يوم وساعة كما في ارقى البلاد . ومن مقالاتها المهرجان الدولي للايام السينمائية في قرطاج — بورقيبة وابناؤه — صفحة مشرقة من تاريخ شعبنا الخ الخ .

الشعراء الفرسان

بقلم بطرس البستاني

الطبعة الثانية ، بيروت لبنان ١٩٦٦ ، صفحة ٢٤٦ ، قطع ٢٤×١٧ دار المكشوف . الثمن ٥ ليرات لبنانية .

مؤلف هذا الكتاب علم من اعلام النهضة العربية في لبنان . ولد في دير القمر سنة ١٨٩٨ واذ هو اليوم في عز الكهولة يقضي اياماً مباركة في التأليف والتعليم . وهذا الكتاب انموذج من منتوجات قلمه الخصيب . استند في حديثه الى أئمة المؤلفين وتشبع انشاؤه العربي من فيضان نفثات العرب الخالصة في الادب والتاريخ . فتح الكتاب بمقدمة عن شعر الفروسية، فحلل فيها نفسية البدوي الشاعر : فهي الحماسة والفخر وما اليها من شرف المحتد ومكارم الاخلاق، متصدياً لما كتبه الاب لامنس في كتابه « مهد الاسلام » وسار يكلمنا عن ايام العرب وعن السادات والاشراف وعن العبيد والصعاليك بطبعة انيقة وحروف جميلة وورق صقيل مما يرغب في إقتناء الكتاب . وقال ص ٢٣٨ : « علينا ان ننتظر القرن التاسع وما بعده من القرون الوسيطة لنشاهد

الفروسية المسيحية في اوروبة والفروسية الاسلامية في الاندلس» . واقول «عند قراءة الياذة هوميروس» لسليمان البستاني نرى تشابهاً غير يسير بين فروسية العرب وفروسية اليونان. فانظر تصرف اخيليس مع بريام ابي هيكتور.

غادة افاميا، دراما شعرية في اربعة فصول

بقلم عدنان مردم بك

منشورات عويدات . بيروت لبنان، صفحة ١٢٥ ؛ ١٤×٢٠ الثمن ٢٠٠ غ. ل.

ورق صقيل طبع متقن باحرف كبيرة جميلة، شعر متواصل النفحات بين اساليب الشرق والغرب . ذهب شاعره المذهب الخيالي الرومانطيقي المتطرف يشف عن حكاية رمزية لنضال الشعب السوري في الانقلابات السياسية المعاصرة، مسرحها افامية البلدة القديمة في سورية في وادي العاصي تلك التي اجتاحها الفرس سنة ٥٤٠ وفتحها العرب ودمرتها الزلازل وتعرف في يومنا بقلعة المضيق . و «الغادة» هي ابنة زعيمها وهو القائل ص ٨٢ :

اذا فكرت في فقد ابنتي او فقد اوطاني
حنوت مع المصيبة بابنتي وكتمت اشجاني
وما حب اذا ما قيس بعدل حب اوطان

الطائشة، رواية خيالية تهذيبية

بقلم بقله (انيس خليل)

مطابع ابن زيدون — دمشق ١٩٦٧، صفحة ١٢١ ٢٢×١٥

ذكر المشرق سنة ١٩٦٥ مؤلفات السيد انيس بقله في الكلام عن الحركة الفكرية في سورية، وعدد تلك المؤلفات ١٨ . وقد اضاف اليها صاحبها هذه الرواية وفيها اخبار «الطائشة» التي بعد ان سلكت طرق الخطايا تابت واهتدت وصارت حكايتها افادة للمستفيدين وكذلك كتاب «جبر الخواطر»، وفيه قصة خيالية تهذيبية ص ١٢١ — قطع ٢٣×١٥ — مصور .

موجز علم العروض

بقلم نجيب مكربنه

مطبعة الضاد — حلب — صفحة ٢٦، قطع ٢٤×١٧، ثمن النسخة ٧٥ غ. س.

في فجر هذا القرن كنت مع نجيب مكربنه ونجيب رباط (الاكسرخوس جبرائيل) ونقولا سابا (الارشمندريت بطرس) وايزيدورس قتال (متروبوليت

حلب) تلميذاً ايام كانت المدرسة الاسقفية في رعاية المطران كيرلس جحا مزدهرة بتدريس الاخوة المريميين من باريس ؛ وكان استاذنا بالعربية الخوري اثناسيوس كبابه . عليه تعلمنا وتعلم نجيب مكربنه ويبلغ اليوم الثمانين من عمره ويترك هذا الاثر نتيجة تعليمه في ثانوية حلب . ونعم الاثر . لقد اقتطفه المؤلف من كبار أئمة هذا العلم كالشيخ ناصيف اليازجي والاب لويس شيخو ، ميسراً باختصار كل ما تلزم معرفته في المراجعات الامتحانية للدارسين .

الفن القبطي المصري في العصر اليوناني الروماني

بقلم لبيب يعقوب صليب

الجزء الاول ، ١٩٦٤ ، مطبعة قاصد خير ، القاهرة قطع ٨ صغير ، صفحة ١١٣ ، مصور الثمن ١٥ غرش .

من هم القبط ؟ ص ١٦ التعريف بالفن القبطي ص ٢٦ ، فن ديني ومدني ص ٤٤ . فن جمال وهيبة لا ضخامة ولا عظمة — انتشار الفن القبطي في اوروبا . هي عناوين اهم فصول هذا الكتيب الجامع لفوائد وملاحظات يعز وجودها في متناول القراء يرجع فيها صاحبها الى اقوال العلماء الاقدمين والمحدثين ، فله الشكر بما افاد من جديد وقديم .

بدر شاكر السيّاب ، رائد الشعر الحر

بقلم عبد الجبار داود البصري

دار الجمهورية بغداد ١٩٦٦ ، صفحة ١٠٦ قطع ٢٤×١٧ مغلف ، تصميم نوري الراوي ، خط الخطاط غني — سلسلة الكتب الحديثة

حياة السياب تذكر بالشاعر الافرنسي موسه Musset المتألم الشاب . دب الالم في قلب الشاب عند خيبة آماله بالزواج بقروية احبها . ولوعة الالم رافقته في حياته القصيرة متخبطة بالحوادث السياسية التي اجتاحت العراق .

وُلد سنة ١٩٢٦ في قرية جيكور التابعة لقضاء ابي الخصيب ، درس الأدب العربي واللغة الانكليزية . تخرج من دار المعلمين ١٩٤٨ استاذاً في ثانوية الرمادي ، فصل عن التعليم وسجن ... ثم انفك رباطه بالشيوعيين . تزوج من احدى قريباته من آل عبد الجليلي وكانت ثورة الجزائر ١٩٥٦ فوقع على عريضة احتجاج انتصاراً لها وعمل في اللجنة الوطنية للادباء

الثوريين في العراق. وفي سنة ١٩٥٩ سجنه الشيوعيون. ومرض وسافر الى لبنان للمعالجة وعاد منه بلا جدوى؛ وقد انفق حتى المنحة التي استحصلها له ادباء بيروت. توفي في الكويت ١٩٦٤.

خصه عبد الجبار داود البصري بهذا الكتاب وروى فيه الكثير من اقواله وشعره الحر الغير متقيد بقواعد النظم والقصيدة. قال بدر (ص ١٥) مؤرخا بعاطفة ما حل بالعراق خلال الحكم القاسمي:

الموت في الشوارع
والعقم في المزارع
وكل ما نحبه يموت
الماء قيدوه في البيوت
هم التتار اقبلوا

بالظاهر ان السياب كان مسلماً مؤمناً ولكن ايمانه على غير ما يؤلف عند المسلمين ويأتي بالغرائب: فالالوهية تتجسد بالانسان العربي (محمد): «ان الهنا فينا» (ص ٢١) — ويقول منوهاً بالمسيحية: «انا المسيح يجر في المنفى صليبه» (ص ٣٨) كانه في آلامه يجد تعزية في ذكر المسيح؛ ويا ليته تبحر في معنى الصليب لهان عليه الامر كما عند المسيحيين في ايمانهم بسر الفداء.

الادیولوجية العربية

بقلم الدكتور ياسين خليل

صفحة ١٨٦، قطع ٨ صغير — بغداد ١٩٦٦

جاء في قاموس لاروس تحديداً لكلمة «اديولوجية» انها عبارة عن افكار وتعاليم سياسية واجتماعية يستوحي منها الاحزاب في اوضاعهم مبادئ الحكم في طبقات الشعب.

وتلك التعاليم هي عربية اسلامية. يدور حولها هذا الكتاب متوغلاً في ابحاث فلسفية يغور فيها القارئ ومنها يتخذ المقابلة بين المسيحية والاسلام ولعله لو فطن الى اقوال الانجيل وتفسيرها في التعليم المسيحي الصحيح لما وجد التباين الفسيح الذي ينادي به الاشادة في حل المشكلة الاجتماعية. وقال في ختام الكتاب ص ١٨٤ عن الوحدة العربية: «كانت املاً ثم غدت شعاراً ثم استحالت بعد ذلك واقعاً حياً مع بلاد الجمهورية العربية

المتحدة التي ربطت الاقليم السوري بالاقليم المصري بوثاق شعبي واستفتاء جماهيري اكد عروبة الامة وصفاء عقيدتها واندفاعها الى جمع شتات الامة في دولة الوحدة المنشودة وتحرير الاجزاء العربية السليبة » . والله اعلم !

تعليم اللغة العربية في نيجيريا — السلسلة الثقافية ١٢

بقلم سليم حكيم

بغداد ١٩٦٦، صفحة ١٣١ قطع ٢٤×١٧ — مصور، سعره ١٠٠ فلس

اقام المؤلف حوالى الخمسة اشهر موفداً من الحكومة العراقية في احتفالات استقلال نيجيريا في ١ تشرين الاول ١٩٦٠ . وقد دعي عن طريق معهد التربية لجامعة ابادن لدراسة كيفية تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة اجنبية في مدارس ودور المعلمين في نيجيريا وتقديم التقرير اللازم بذلك . وهذا الكتاب نتيجة لبحثه على مدى اسابيع معدودة وعلى تلك المدة القصيرة تمكن من زيارة المدارس والمعاهد التي تعتني بتدريس اللغة العربية وجاء بالافادات عن هذه البلاد وقال ان الجالية اللبنانية فيها كبيرة (ص ٥) .

محمد كرد علي

بقلم جمال الدين الآلوسي

وزارة الثقافة والارشاد — سلسلة الكتب الحديثة ١٢

دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦، صفحة ٣٦٦ قطع ٢٣×١٧، ثمن النسخة ٣٠٠ فلس . مصور

اسرة الآلوسي تنسب الى ألوس وهي قرية على الفرات قرب عانات (سركيس معجم المطبوعات) . انجبت رجالات اشتهروا في عالم التأليف ومنهم صاحب هذا الكتاب، درس فيه درساً فائضاً حياة رجل من عظام رجال عصرنا . قال ص ١٢ وما بعدها : « محمد كرد علي من اصل عراقي كردي الجنس عربي المربى شامي الموطن والولادة والوفاة، دافع عن العروبة والاسلام ودعا الى الحرية وقاوم الاستبداد واجال قلمه في ميادين مختلفة (محمد بهجة الاثري)، وتخص المنجد (توتل) ترجمة كرد علي محمد فقال : «من رجال الدولة والتأليف في سوريا، رئيس المجمع العلمي الدمشقي ١٩٢٠—١٩٢٥، وزير المعارف عضو المجمع العربي الملكي في مصر . من مؤلفاته « خطط الشام » و « تاريخ احمد بن طولون » و « فلاسفة الاسلام » .

هذه افادات لا بد من إذاعتها بين قراء العامة مثالا يقتدى به، اما اهل

الخاصة فادعوهم الى تصفح هذا السفر الجليل فيأخذهم الاعجاب بما يقرأون فيه عن اعمال كرد علي مفصلة : اساتذته ، الصحافة (المقتبس) رحلاته ، مذكراته ، اسلوبه الانشائي ، علاقاته بالمشاهير وطنيه ... وفي نهاية الكتاب المراجع وفهارس الاعلام في صفحات ٣٣٣—٣٦٠ تقرب سبيل المطالعة والدرس فعلى بركات الله .

الثعلب والعنب

بقلم جوليرم فيجويردو

ترجمة فيصل الياسري — مراجعة محمد جديد

ادب ، مسرح دمشق ١٩٦٧ ، صفحة ١١٧ ، ١٩×١٤ ، ٦٠ ق. س.

مؤلف هذه المسرحية برازيلي . كان من رجال القانون فانصرف الى الادب . هذه المسرحية عرضت على المسرح الشعبي في مدينة بونس ايرس وسرعان ما ظهرت في لغات عديدة وعرضت في فينا وبولونيا وبرلين ولشبونه ولينغراد وغيرها من العواصم . وقد عربها صاحب الترجمة : « رأى ثعلب عنقوداً يتدلى من كرمة عالية ... فاراد ان يصل اليه ولكنه لم يستطع فقال هذا العنب حامض » مغزاه ان الحرية صعبة المنال .

قامت بتمثيلها على مسرح القباني في دمشق تحت اسم (العنب الحامض) فرقة المسرح القومي .

النقد

اسس النقد الأدبي الحديث — تعريب شنورر جوزفين مايلز جوردن ماكنزي

ترجمة السيدة هيفاء هاشم — مراجعة الدكتورة نجاح العطار

دمشق ، الجزء الاول ، صفحة ٣٧٥ سعره ٣٠٠ ق. س ، والثاني ٣١١ سعره ٣٠٠ ق.س قطع ٨

فضلاً عن اخطاء التنقيط وهي كثيرة ولم تصحح يجد القارئ جدول تصويب في الجزء الاول من ص ٣٦١ الى ص ٣٧٥ ، وفي الجزء الثاني من ص ٣٠٥ الى ص ٣١١ تصليحاً للاغلاط المطبعية . ولا بد من المرجع اليها قبل مطالعة هذا المؤلف الضخم . تتمنى لاصحابه اعادة طبعه مشفوعاً بما ينتظر من التعليقات المساعدة على فهمه فيحل المحل المرموق في مصاف كتب الفن التي نحن بحاجة اليها .

وفي مناسبة الكلام عن النقد لا يسعنا الا ذكر المرحوم قسطاكي بك

الحمصي الحلبي مؤلف كتاب « منهل الوراد في علم الانتقاد » : جزءان . الاول ص ٣٠٤ والثاني ص ٢٩٦ قطع ١٢×١٨ مطبعة الاخبار بالفجالة بمصر ١٩٠٧ . فهذا الكتاب لذيذ القراءة لم تذهب الايام برونقه نشير اليه لمن يهمهم التبحر في هذا الموضوع العويص البعيد عن تفهم العامة . وذكر العدد ٤ ١٩٦٧ من مجلة الفكر التونسية المخصص للنقد وقد اشرنا اليه في هذا المقال .

جاء في المدخل : « القصد الاساسي من هذه المجموعة من المقالات النقدية هو توفير نصوص من الصعب الحصول عليها ... نحن مدينون في مختاراتنا هذه لطلابنا في قسم الادب الانكليزي الذين برهنوا على فائدتها (ص ١٠) .

وفي فهرس الجزء الاول (المصدر) والجزء الثاني (الشكل) اسماء المؤلفين الذين اخذت عنهم المقالات وكلها على ما ادري مأخوذة من اصل انكليزي . فمن الثقافة الانكليزية استقى المؤلفون معلوماتهم وليس بينها ذكر للنقاد الافرنسيين . وهذا الكتاب اشبه منه برؤوس الاقلام التي يلتقطها الطلاب ابان المحاضرات في الجامعات .

نتمنى له الرواج في المدارس العليا ونستميح ملاحظة نستغفر عن ابداءها وما هي الا لخير المصلحة .

درب الواحة — ادب شعر
بقلم علي كنعان

دمشق ١٩٦٦ ، صفحة ١٥٧ ، قطع ١٤×١٩ — ١٠٠ ق . س .

اليك بعض عناوين الفصول التي يحويها هذا الكتيب ومنها ترى تصرف المؤلف بشعره الجديد وقد استوحى مواضيعه من حوادث اليوم . فميلاد النسر هو « استقلال الجزائر » « النسر في اوراس افرخ ... فاعطى كل ثانية مسيح » .

علي كنعان له بعض الالمام بالمسيحية . والفاظها الدينية تتوارد على شعره : رنة الاجراس ، اخشاب الصليب ، وقال ص ٥٥ : « يا يسوع ! انا انسان ، غريب الصنع ، مبهم ، انا طفل مزق الحرمان قلبه ، انا روح يتألم عرف الله محبة داوني فك قيودي ... يا يسوع » .

عسى ان تؤدي هذه الآهات من قلب الشاعر «الناشئ» الى التعمق في بحث البدء والمصير والايمان والرجاء.

النساجون

بقلم جيرهارت هاويتمن

مسرحية في خمسة فصول – ترجمة محمد جديد

ادب، مسرح، دمشق ١٩٦٦، ١٤×١٩ صفحة ١٨١، ١٢٥ ق. س.

يعتبر جيرهارت هاويتمن ١٨٦٢–١٩٤٦ من كبار اساطين الادب المسرحي الالماني. تمثل مسرحية «النساجون» دور الجمهور وتتصدى لحالة الفقر المدقع الذي تعيش فيه تلك الطبقة البائسة من البشر.

جاء في الصفحة ١٣ من اقوال النساجة الاولى:

«انا لست كسولة ابداً ولكني لم اعد استطيع المضي في العمل. فقد عانيت من الاجهاض مرتين اما زوجي فرجل بائس عاجز وكان يشتغل عند راع غير ان هذا الراعي لم يستطع ان يخلصه من ذلك البؤس... ليس في وسعنا ان تعمل فوق طاقتنا. هل تتكرم يا سيدي وتسمح لي في هذه المرة ببعض الجروشنات؟ (القروش؟) بضعة جروشنات فحسب لنحصل على الخبز. الفلاح لم يعد يقرضنا وفي البيت عدد كبير من الاطفال...»

ولمحمد جديد الفضل في نقل هذه المسرحية الى العربية فتعرف القراء الى اسلوب المؤلف الالماني. وقد يؤاخذ لمعالجته المشكلة الاجتماعية من غير الوعي الى حلها حسب المبادي الكاثوليكية.

المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي في بغداد

بقلم كوركيس عواد مدير مكتبة المتحف العراقي

مطبعة الرابطة – الجمهورية العراقية – بغداد قطع ٢٨×٢٢

القسم الاول المخطوطات التاريخية ص ٨٢

القسم الثاني المخطوطات الادبية ص ٥٣

القسم الثالث الطب الصيدلة البيطرة ص ٢٨

مستل من مجلة سومر.

اصول اسماء المواضع العراقية

للاستاذ كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العراقي

هو كراس قطع ٢٣×١٨ ؛ فيه المراجع العربية القديمة والحديثة والمراجع الافرنجية منها : Costaz L. *Dictionnaire syriaque français*. Beyrouth, 1963 القاهرة ١٩٦٧

الاسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل في العصور الاسلامية

بقلم كوركيس عواد مدير مكتبة المتحف العراقي

مستل من مجلة « سومر » ؛ مطبعة الرابطة — بغداد ١٩٥٧ ؛ كراس كبير ٢٨×٢١ وفيه ١٨٧ كتاب او رسالة

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

رسالة في الاحجار الكريمة — تأليف ايفانيوس

المتوفى سنة ٤٠٢ او ٤٠٣ — قدم لها وحققها كوركيس عواد

مطبعة المجمع العلمي العراقي ؛ بغداد ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م ؛ صفحة ١٥ ٢٤×١٧

تاريخ واسط

تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل المتوفى سنة ٢٩٢ هـ ٩٠٥ م

تحقيق كوركيس عواد — ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

مطبعة المعارف — بغداد ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م، صفحة ٤٠٠ ؛ ٢٥×١٧

في اواخر هذا الكتاب الجليل ص ٣٠٧ فهارسه . ومنها فهرس مراجع البحث والتحقيق، وفهرس اسماء الاشخاص، وفهرس اسماء الامكنة والبقاع، وفهرس الآيات القرآنية، وفهرس الاحاديث النبوية، وفهرس عمراني عام، وفيه الالفاظ الدخيلة والمعربة والمولدة والمصطلحات ولغة الحضارة والحيوان والنبات والاحجار والمآكل والملبس والمسكن وغير ذلك .

وكل هذا دليل على العناية البليغة التي بذلها السيد كوركيس عواد في تحقيقه وطبعه هذا الكتاب، مما يدعو الى تقدير جهوده والسؤال له المكافأة من الله على اتعابه في خدمة الثقافة العربية عامة والعراقية خاصة .

تنقيح الابحاث للملل الثلاث

لسعد بن منصور بن كمّونة (القرن السابع الهجري) عني بنشره موسى پرلمان

من مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧، صفحة ١٢٠ × ١١

تعليقات باللغة الانكليزية ١٧×٢٦

قال المؤلف ص ١ :

عملت هذه المقالة في تنقيح الابحاث للملل الثلاث: اعني ملة اليهود وملة النصارى وملة المسلمين. فذكرت فيها اولاً احوال النبوات مجملاً، ثم ذكرت ما يختص بكل ملة من هذه على ترتيب ازمنتها. فابتدأت باقدمها زماناً وهي الملة اليهودية، وتلتها باوسطها وهي الملة النصرانية، وختمت باحدثها وهي الملة الاسلامية. وحكيت عن كل واحدة من هذه الملل اصول معتقدها سوى التفاريع لتعذر استقصائها، واردفت ذلك بحكاية ادلة اربابها على صحة نبوة النبي الآتي بها. واوردت ما وجه من المطاعن عليها وما ذكر من الاجوبة مما لا يصلح لذلك منها.

وجاء في مقدمة الكتاب الانكليزية ص ١٧ :

سعيد بن منصور بن كمونه طبيب العيون ومعلم الفلسفة. عاش في بغداد في القرن الثالث عشر وكان فيها من اعيان الطائفة اليهودية.

مؤلفاته وقد حفظ منها عدة مجلدات، هي تعني بالفلسفة خاصة. اما ترجمة حياته فمعروفة من فائدتين مختصرتين موجودتين في جريدة معاصريه جاء فيها. سنة ١٢٨٤ ما يلي: في هذه السنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م عرف في بغداد ان اليهودي عز الدولة ابن كمونه الف كتاباً عنوانه «التحص في الايمانات الثلاثة» وفيه اظهر وقاحة في الجدل على النبوات. معاذ الله ان نعيد ما قاله، اما الناس فغضبوا وتجمعوا ليهاجموا بيته ويقتلوه وان الامير تمسكاي والي العراق مجد الدين بن الاثير قاومهم واتهم الناس ابن الاثير بانحيازه الى ابن كمونه والدفاع عنه.

وبامر الوالي اذيع في بغداد ان ابن كمونه مسجون صباح اليوم التالي فهدئت الجماعة وما عاد جاء ذكره.

وحمل ابن كمونه في صندوق الى الحلة حيث كان ابنه موظفاً وهناك عاش ومات.

الصراع على الخليج العربي

بقلم سليم طه التكريتي

وزارة الثقافة والارشاد

صفحة ١٤٦ ؛ قطع ٨ صغير – بغداد ١٩٦٦ ؛ فلس ١٠٠

لصاحب الكتاب مؤلفات ذكرها في المصادر وهي دليل على تضلعه من المواضيع التي بحثها. وفيها النظرات السياسية والاقتصادية على حياة ما يسميه الخليج العربي والى عهد قريب منا لم يعرف الا بالخليج الفارسي.

مفيدة قراءة هذا الكتاب بطبعته الانيقة ؛ فيعرفنا بان «موطن صيد اللؤلؤ» اصبح في نظر اوروبا المفتاح الذي يفتح «مغاليق الشرق كله والباب الذي تستطيع اوروبا ان تدخل منه الى الهند والصين» — وفي ختامه ملحق في الاتفاقات والمعاهدات بين الدول الاوروبية وشيوخ الخليج العربي ؛ وفيه الوثائق التاريخية مع ذكر المصادر الانكليزية والافرنسية المستند اليها.

الاقتصاد المخطط

بقلم روميف جان

ترجمة احسان سركيس مراجعة الدكتور سهام الشريف

دمشق صفحة ١٩٦٦ : ١٧٢ قطع ٨ صغير ، سعر النسخة ١٠٠ ق. س

من هو جان موريف ؟ الا يكون الاسم محرفاً عن جاك رويف المؤلف الاقتصادي الفرنسي ؟ يا ليت صاحب الترجمة رفع الالتباس باللفظ والمعنى في اردافه اهم الاوضاع المعربة باصلها الفرنسي واحرفها الفرنسية.

جاء في ظهر الكتاب : «انه على صغر حجمه دراسة علمية دقيقة وافية لموضوع التخطيط في الاقتصاد. يبدأ بتعريف معنى الخطة ثم ينتقل الى الحديث عن التخطيط السوفياتي ... ويتناول ما اخذت به البلدان ذات النظم الرأسمالية من اشكال التخطيط واساليبه». وقال ان هذه الدراسة تتسم بالوضوح والسهولة مما يجعلها في متناول القارئ العادي المتوسط الثقافة. فاقول نعم على ان يكون له المام باللغة الفرنسية التي نقل عنها المترجم فيفسر مغمضاتها.

كيف نكتب تاريخنا القومي ؟...

تحقيق مجلة المعرفة

صفحة ٢٣٨ ، قطع ١٩×١٤ ، سعر النسخة ١٢٥ ق. س

بماذا اشبه مؤلف التاريخ ؟ بعزاف على العود او على البيانو لا بد له من آلة كاملة التوازن وان يعرف التوقيع عليها ولمن يوقع .

كاتب التاريخ يحتاج الى الاوضاع او المواد ولا بد له من ان يقدر صحتها كما يقدر العزاف صحة رنات الآلة الموسيقية وهناك السامعون على اختلاف حالاتهم منهم الصغار والكبار والبسطاء والعلماء واذواقهم ومذاهبهم .
فيا من تكتب تاريخنا القومي عليك ان تستقصي موآده من اصولها وتحسن تركيبها وتسأل لمن تكتب ؟ لطلاب المدارس او الجامعات او لرجالات العلم والتفكير ؟ ومن ثم تأتينا بما يجود به عقلك الثاقب ونظرك الشامل ...

سنة ١٩٦٥ نشرتُ في المشرق (اذار – نيسان) صفحات عديدة تحت عنوان « الحركة الفكرية في سورية » . وفي تعريف الكتب ص ٢٥١ وما بعدها نقدت الكتب المدرسية المومّمة وما شاكلها ولفت النظر الى الحذار من التحيز والتفرقة والتحزب في كتابة التاريخ ، ودعيت الى التفاهم بين الاسلام والمسيحية فتأتي المؤلفات بنغمات مطربة موافقة لهوى السامعين او القراء من دون شواذات ولا لحن ... ويغلب على ظني ان اصحاب المقال الذين جاوبوا على السؤال «كيف نكتب تاريخنا القومي» ؟ اطلعوا على ما كتبت في المشرق وتناولوا من ثم البحث من هذا الباب المفتوح على درس التاريخ فاحسنوا وافادوا ولهم الشكر الجزيل . وهم سليمان الخش ، عزة دروزة ، شبلي العيسمي ، نور الدين حاطوم ، زكي الارسوزي ، محمد المبارك ، ياسين الحافظ ، جورج طعمه ، انور الرفاعي ، ظافر القاسمي ، عبد الغني حسن ، يوسف الحوراني ، عبد العزيز عبدالله ، احمد الفتيح ، سلامة عبيد .

التنمية الاقتصادية

بقلم عبدالله مكسور

دمشق ١٩٦٧ – صفحة ١٣١ ، قطع ١٩×١٤ – ٧٥ ق. س

قال صاحب الكتاب في المقدمة ص ٦ : « اني ارجو الله ان اكون قد وفقت في تقديم ما يضيف الى المكتبة العربية بحثاً يرتدي ثوب العلم والى القارئ العربي ركيزة علمية من ركائز الوحدة العربية تقوي إعانه بها وتدفعه

لنتضال من اجلها » . ومن الفهرس ص ١٢٩ اليك عناوين الفصول ... منها تعريف التخلف – تعريف التنمية – نظرات التنمية (الكلاسيكية : الماركسية الخ) . وقد عالجها المؤلف معالجة السرعة والاختصار ، فليست هي بمتناول العامة وتطلب اسهاباً وشروحات يضيق بها نطاق هذا الكتيب ، مع ذلك ففيه خلاصة ما لا بد من معرفته للاطلاع على الدروس الاجتماعية المستحدثة .

الحمامات الدمشقية وتقاليدها

بقلم منير كيّال

سلسلة بلادنا

دمشق ١٩٦٦ ، صفحة ٢٤٦ ٢٢×١٧ – مزين من يد المؤلف بالصور والرسوم ٢٢٥ ق.س

دمشق من اقدم المدن في العالم واثارها دليل على حضارتها في مختلف عصورها ولا سيما الحمامات . وفي العصور الاسلامية عرفت بحماماتها العامة والخاصة ، ومما ساعد على ازدهارها كثرة المياه . وقد أشتهرت بما فيها من روائع الفن الاسلامي . في ص ٢٣٦–٢٤٠ ذيّل المؤلف كتابه في ٣٢ مصدراً او مرجعاً دليلاً على وفرة المواد التي اخذ عنها بحوثه من عرب ومستشرقين اخصهم ايكوشار – لذيذة هي قراءة الفصل الخامس عن الحياة الاجتماعية في الحمامات وفيه الفوائد من الفولكلور .

وجاء في ٢١٨ عن كبر سن الاطفال :

« اشو هادا يا جماعة ، والله حرام ، لمين هالولد وين امه ؟

فتجيب الام قائلة : – شو بتأمري يا حبيبتي ؟..

– الخروس ابنك ؟

– نعم ...

– اسم الله عليه شو ما احلاه

– الله يسلمك يا ستي

– اديش عمره البركة ؟

– والله يا عيوني لسعته زغير اول مشيو

– ليش ما بتجيبي ابوه تغسليه معو

– يه ابوه كبير ... »

واورد محمد كرد علي في مذكراته ان والدته اخذته معها الى حمام السيدات فقالت لها احداهن : « لماذا لم تأت بابيه معه ؟ فانقطعت عن أخذه معها الى الحمام منذ ذاك اليوم » .

Robert Adolfs, o.s.a., *La tombe de Dieu. — L'Eglise a-t-elle encore son avenir?* Éd. Salvator, Mulhouse, 1967, 168 pp.

لم يتعود المؤلف على كبت جماح الكلمة . فهو ينقيها عن اقتناع في كل وقت : يعارك بكل جرأة في سبيل كنيسة تتنهم رسالتها وتظل أمينة لمبدئها ولا تريد ان تصير قبر الله .

ففي نظر هذا الراهب الهولندي ان الكنيسة الراهنة لا تتجاوب تماماً ومشاكل العالم القائم ، وذلك العالم الذي لا يعير وجودها اهتمامه ، ولا وجود الله .

ولهذا فبعد ان اعطانا درساً اجتماعياً ونفسانياً لعالم اليوم ، وبعد ان رفض عقلية المنتصر او العقليّة المتحجرة التي فيها تجاذف الكنيسة بمستقبلها ، فانه يعظ الإنكسار والزهد ويعرض نتائج هذه الفضائل على الكنيسة كلها ، علمانيين واكليروس ، على العالم أجمع .

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده والذي تُرجم للغات عديدة سيكون هدف قبول البعض وغضب الآخرين . انما سيحمل الجميع على التفكير العميق والاستنتاج الفريد في عصر السرعة والتقنية .

ا . ع . خ .

Père P. Monier, *Miettes spirituelles*. Éd. Salvator, Mulhouse, 1967, 213 pp.

فتات روحية . ليست مؤلفاً روحياً . هي بعض الافكار فيها قوة تحمل على التفكير .

انما افكار ملؤها الفتوة والحكمة والفرح . افكار تتميز بالاختبار الروحاني الصحيح .

جمعها المؤلف حسب رسم واضح : ملكوت الله ، المسيح صار خطيئة لاجلنا ، الحقيقة ، كرامة الانسان الحرّ ، مباركة انت في النساء ، العهد الجديد والابدي . وفي كل قسم من هذه الاقسام نشعر وكأن كل فكر من افكار المؤلف تعبر عن اختبار شخصي يمليه صدق الإختبار وفطنة المرشد الأمين .

ا . ع . خ .

Au fil des jours avec Jean XXIII ; le cœur d'un grande pape. Éd. Salvator, Mulhouse 1967, 38 pp.

حياة يوحنا الثالث والعشرين كانت نعمة للعالم كلّه. نجح في ان يُسمع صوت الكنيسة عند الشعوب بأسرها. هو صوت الحبر المحبوب الذي اراد جامع هذه النصوص ان يُسمعه لكل ذي ارادة حسنة.

وان القارئ ليجد في هذا الكتاب ولكل يوم من ايام السنة نصاً يلائم العيد الطقسي يعينه على فهم الظروف ويساعده على أن يحيا يوماً سعيداً في جو حب صادق عاشه ذاك البابا نحو رعيته كلّها، وخاصة الفقراء والمعوزين.

جامع هذه النصوص استقاها من وثائق مختلفة: المؤلفات الروحية، الرسائل العامة: الرسائل الرسولية، العظات الكثيرة التي اعطاها لمستمعين عديدين في كاتدرائية مار بطرس او في ساحة مار بطرس، او لأعضاء مؤتمرات متنوعة او لجماعات التأمت في رومة لاهداف دينية وعلمية وفنّية ورياضيّة.

تنوّع في المواضيع وتطبيق هذه المواضيع على الحياة المسيحية، هذا ما يُعطي الكتاب قيمته. ا. ع. خ.

S. Grün, *Jésus-Christ, Nouvel Adam ; sermons pour le cycle de Pâques.* Éd. Salvator, Mulhouse 1962, 132 pp.

ان الايام الميلادية تعيد الى الذاكرة الحياة الالهية التي ظهرت في شخص كلمة الله الذي تجسّد محبة بالبشرية. ان هذا الحدث بعيد في طيات التاريخ، انما المسيحي مدعوّ ان يتّحد بالمسيح يسوع. وكيف ذلك؟ ان العديد من البشر يعتقدون ان الذكرى كافية على هذا الصعيد، فيتذكرون المسيح الذي كانت حياته خيراً للجميع، المسيح الذي ذبح وصعد الى السماء. فيعبدون فيه الله الحيّ: انما طبيعة المسيح الممجّدة هي وسيلة النعمة التي تُحيي لان المسيح «البارحة واليوم وغداً». تجسّد ويريد ان يظل متجسداً الى الابد. فان الطبيعة التي لبسها هي في مجد الله، وهي اكثر من مثل تمثّل به، إذ هي تعمل في ملء الروح الذي اقامها من الاموات.

ان المسيح يسوع يظلّ دوماً قرب الخليقة التي خلّص: رأس ومخلّص والآدم الجديد فهو الذي يعيد البشرية إلى حال بصورة تعلو الحالة التي كانت عليها في الخلق. وهذا ما يلحّ عليه المؤلف ببراعة علمه وسعة اطلاعه.

وان من يتأمل الكرامة التي يُعطيه اياها العهاد ليقدّر هذا الكتاب في حيويّة كلامه والجديد في افكاره. ا. ع. خ.

ROBERT QUARDT, S.J., *Sermons pour les fêtes de la T. S. Vierge*. Éd. Salvator, Mulhouse 1962, 148 pp.

كتاب يساعد الواعظين على تفهّم أسرار حياة العذراء ويساندهم في عرضها على الشعب ، فانه منسّق تنسيقاً وافياً وحسب تطوّر العقيدة ان في التعبير وان في شروح اللاهوتيين . والعرض هنا بسيط وموجز ؛ يبتعد عن البلاغة الفارغة وابتذال الكلام ؛ إنّه عمليّ وواضح ويزخر بالمواضيع القيّمة . ا.ع.خ

R. FISCHER-WOLLPERT, *Qui mange ma chair*. Éd. Salvator, Mulhouse 1962, 149 pp.

محور العبادة الطقسيّة . إن الاوخارستيا شمس في حياة المؤمن . والمؤلّف يُعطينا تأمّلات ملأى حرارة تفكير وعمق توجيه اذ يعرض امامنا ذلك المنتصر على الموت المسيح الاله الجالس في مجده والمتألم المصلوب الذي ينظر الينا من جهة ، ومن جهة ثانية الكنيسة التي هو رأسها .

فاذا ما أكل المؤمن جسد الرب فانه يشترك في آلامه . انه يقبل في قلبه عربون الحياة ، شرط ان يعمل حسب ما يتطلبه منه المسيح ، تغيير حياة وتبديل تفكير ليعطي للآخرين ثمرة الفداء التي أفاد منها .

يُعطينا المؤلّف الكثير ممّا يفهمنا ان الاوخارستيا تتجاوب وحاجات النفس المؤمنة وحاجات العصر الراهن ، في خدمة القريب .

وان الكهنة ليجدون في هذا الكتاب افكاراً جديدة ومادة واسعة يستطيعون شرحها للمؤمنين . وانهم ليرون فيه ان الاوخارستيا وان كانت ذلك السرّ الذي يساعد على السير نحو الكمال الشخصي فانه ايضاً في خدمة المجتمع الراعوي والعائلة المسيحية جمعاء .

نتمنّى أن يزيد هذا الكتاب المؤمنين عبادة نحو القربان المقدس ويعطيهم القوة لمتابعة رسالة نبيلة : تقديس الكون بتقديس حياتهم .

س. ج .

Urs von BALTHASAR, *Qui est chrétien?* Éd. Salvator, Mulhouse 1967, 130 pp.

المؤلّف من اكبر لاهوتيي هذا العصر . ولقد انحنى على تحليل العناصر التي يتعلّق بها المسيحي اليوم، فينتقد ما يجب نقده ويقدّم ما يجب تقديمه .

وان العصر اليوم قاد الكثيرين من المسيحيين الى مواقف متطرفة دينياً ان في ما يتعلّق بالكتاب المقدس او بالطقسيّات او بالحركة المسكونية. فيطلع المؤلف القارئ على كل هذا ويعود فيطبّر كل هذه التيارات الفكرية الروحية بدقة وعمق ويفتح الأبواب واسعة أمام المسيحي كي يظلّ على ما هو عليه من تعلّق بالمسيح — الاله، وبالاساس لا بالقشور. وكم من القشور خبّأت الأصل وراح المؤمن اليوم يتيه في صحراوات مشاكل ومشاكل لا تجدي نفسه نفعاً بعد أن هجر ذلك الذي يجب أن يكون أمامنا ومعنا فينا. وإن عناوين الفصول والأقسام تُنبينا عن خيبة المؤلف وعن أمله الأكيد في عودة المؤمن الى رصانة الايمان واتزان الفكر والعمل والحياة.

ا. ع. خ.

Florent Schnee, a.a., *Docute omnes gentes*. Éd. Salvator, Mulhouse 1961, 234 pp.

مجموعة عظات قيمة لمدار ايام الآحاد السنويّة. يتوخّى المؤلف التعليم المنبثق من الايمان ومن الآداب المسيحية.

وضوح في الرسم، دقة في التوسيع، انتقاء المصادر والأمثال، صفات تسمح للوعّاظ باختيار واسع وبطرق مواضيع تهمّ عالم اليوم.

س. ج.

U. Plotzke, o.p., *La charte de la vie chrétienne: les Béatitudes*. Éd. Salvator, Mulhouse 1961, 250 pp.

التطويبات التي فاه بها المسيح على الجبل هي دستور الحياة الاجتماعية والاخلاقية حتى لعصرنا الراهن. والمؤلف اذ يستند الى الانجيل يعبر اكبر مشاكل الحياة التي تتعلق بالفرد والعيلة والمجتمع ويساعد انسان اليوم المتألم على وجود نور في ظلامه وقوة في ضعفه.

وإن العلمانيين ليستفيدوا جداً في هذه العظات التي يجدون فيها ثروة ايمان وتفكير. انما الكهنة هم الذين، في وعيهم لايجاد حلول وتعابير تنطبق على عقلية اليوم، يستطيعون فهم المبادئ الكبرى التي ترددها الكنيسة دوماً لانها تحمل اليوم وغداً حلاً لمشاكل الانسان، الا وهي سر الفداء، طبيعة الانسان، الابدية، السلام المسيحي في هذا العالم والوسائل التي تساعد على تحقيقه.

س. ج.

John J. Navone, s.j., *Témoignage personnel*. Éd. Salvator, Mulhouse 1968, 278 pp.

من ميزات عصرنا الراهن انه يتوق الى الأصول. وها نحن مع المؤلّف نتأمل النصوص التي يبرزها والتي يعطيها الإطار الوافي لنفهمها على عمقها. فلقد اختارها بحذاقة ومجموعها يعطينا خطوط الوحي الكبرى.

إنّه لم يرد أن يُبهرنا بالبلاغة ولم يرد ان ينتقي بعض الأحداث التي وإن ادهشتنا لا تعلّمنا التعليم الروحاني الصحيح. ولقد اختار روحانية قوية تتغذى بكلام الله: الايمان والرجاء والطاعة عند الآباء الاولين، الشجاعة عند الانبياء، كارميا مثلاً. ولقد استخرج معنى الوليمة العميق، ومعنى مثل السامريّ واستخلص توجيهات انجيل يوحنا الأساسيّة، وتوقف عند الإنابة الى الله وعند الصفتين اللتين يتميّز بهما المسيح: «السيد — العبد».

هي كلمات تنبض كلّها محبة وصفاء. وان الكنيسة تهدي دوماً ابناءها ليتعلّقوا بمن هو وحده الطريق والحق والحياة.

س. ج.

J. Michel, *Le problème de Jésus*. Éd. Salvator, Mulhouse 1968, 133 pp.

لا يكفي اليوم ان ننصح قراءة الكتاب المقدس، حتى العهد الجديد. يجب أن نساعد المؤمن كي يميّز ما هو حقيقة تاريخية او لاهوتية وما يعود الى الاسلوب الخاصّ بتلك الايام التي كتبت فيها الاسفار المقدسة، كي يميّز ما هو الحدث بالذات وصورته على ضوء المعنى الذي يحمله بين طيّاته، كي يميّز أخيرًا بين الأسطورة والتاريخ.

هناك مشاكل عديدة تحملنا على درس أسس ايماننا وتتطلب جواباً: للاناجيل قيمة تاريخيّة وكيف ذلك؟ وكلام المسيح واعماله العجائبية، ما معناه وما قيمتها؟ أقام المسيح من الموت وانتصر عليه؟ ومن أعطاه لقب «المسيح» و«ابن الله»؟...

لغة المؤلّف اخترعها ليُفهم الغاية التي من اجلها كتب مؤلّفه هذا للكثيرين من القراء، ولقد تطرّق الى كل هذه المشاكل بصراحة وصفاء. وهو يضع الآن في متناولهم وسيلة قيّمة في زمن ربما قاد فيه تأثير بولتمان على الفكر المسيحي الى فوضى.

س. ج.

PH. ROQUEPLO, O.P., *Expérience du monde: Expérience de Dieu?* Recherches théologiques sur la signification divine des activités humaines. Éd. du Cerf, Paris 1967, 410 pp.

إن الإعتناء بالذين لا يؤمنون وبمصيرهم الابدي؛ والاهتمام بوحدة المؤمن الروحية وهو حائر بين حياة دنيا وحياة روحية دينية ليحمل على السؤال: اهناك اختياران: اختيار العالم واختيار الله؟ أو قل ان اختيار الله هو الذي يعطي معنى وقيمة لاختيار العالم.

أمام كل ما يميّز الحياة الحاضرة من انعتاق من الروحيات ليس لنا من نور يهدينا الى صحة علاقة الانسان بالله إلاّ ما نراه من علاقته بالعالم (وان كانت هذه العلاقة غير واضحة لنور الايمان). انما؛ والامور هكذا. يجب أن يُعلّل هذا التفسير على ضوء الانجيل وان تهيأ الوسائل اللاهوتية التي تشرحه ليتوصّل بعد ذلك الى توضيح معنى الامور الدنيا الالهي: كالعمل والسياسة والابوة والجسد الخ؛

وان هذه الروحانية العلمانيّة التي جرب المؤلّف ان يوضح اسسها اللاهوتية؛ لا تذيب اسرار الايمان ولا تهدم الصلاة والأسرار ولا الكهنوت والدعوة الرهبانية.

وللمؤلف من الخبرة والوعي وسعة الاطّلاع ما يؤهّله ان يقوم بعمله هذا وباعطاء الامور القيمة التي لها دون ان يزيدها او ينقصها.

ا. ع. خ.

A. MOTTE, *La vie spirituelle dans la condition charnelle*. Éd. du Cerf, Paris 1968, 470 pp.

إن التجدّد الرّهباني لن يكون صحيحاً ما لم تُدرس الأوضاع الخارجيّة التي فيها يتمّ وعليه فيها أن ينير فيكون رمزاً حياً لدعوة الهيّة تفوق الزمن وتسامر ابدية الله.

ولهذا فان المؤلّف أخذ على عاتقه ان يتدارس هذه الاوضاع الزمنية والأرضيّة فالقى بادئ ذي بدء بعض الأنوار المسيحية على هذه الأوضاع وانتقل بعد ذلك الى الحياة الروحية التي على الانسان أن يعيشها في الجسد وفي كلّ ما يتعلّق بالجسد من حسّ وعاطفة. وبعد ذلك تصطحب المؤلف في تحليله الحياة الروحية وخضوعها للزمان والمكان وللمجتمع وينتهي الى فلسفة الرمز ينطلق منه الى صعود الروح وانتصاره ما دام ينظر إلى الأمور بجدية على ضوء الايمان.

كتاب حافل بالأفكار والنصوص والمراجع القديمة والحديثة تفكيراً لم يقتصر على الفلسفة فقط بل تعدّاه إلى اللاهوت وتاريخ الروحانيات عبر التاريخ والعلوم الإنسانية في تطويرها . وفي هذا كلّه رصانة العلم ووضوح الفكر وإيمان المؤمن. أ. غ. خ.

La religieuse aujourd'hui. Éd. Desclée de Brouwer, Bruges, 1968, 240 pp.

ان القرار المجمعي في تجديد الحياة الرهبانية فتح الآفاق امام الرهبنات لخلق روح جديدة ووعي لا يبالي دوماً باحوال العالم الراهن لتسير الرهبنات في ركب الحضارة والثقافة والعلم حسبما تتطلبه منها الكنيسة وهي تعيش في عالم يصلح ان يكون الراهب فيه غريباً عن مغرياته ، ولكن في خدمته وفي أنسنته .

وهذا ما وجّه المؤلفين الذين سهروا على وضع الكتاب الذي نحن بصدده . فانهم احبّوا ان ينظروا الى الحياة الرهبانية من النواحي العقائدية مستلهمين المبادئ التي اعطاها المجمع ليعطوا هم بدورهم التوجيه الصحيح الحقيقي لحياة رهبانية تتلاءم وعصرنا الحاضر .

وما يُستنتج من هذا الكتاب قيمة الحوار والتجدّد في معرفة الكتاب المقدس وروح الغيرة الرسولية المطابقة على عصرنا والانعتاق ممّا يلصق بالأرض ليظل الراهب رمز الملكوت ، حيث الثروة الوحيدة هي الثروة الباطنيّة في خدمة الله والانسان . أ. ع. خ.

L'Eglise dans le monde de ce temps. Schéma XIII, plusieurs auteurs. Desclée de Brouwer, Bruges 1967, 420 pp.

مجموعة مقالات تفسيرية لتلك الوثيقة المحورية في تاريخ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني . ولقد ضمّت اسماء كبار اللاهوتيين الذين ساهموا في نجاح المجمع المذكور وكل حسب اختصاصه . فمنهم من شرح معنى دستور راعوي ومنهم من ارّخ مراحل تكوين الدستور وغيرهم انحنى على درس علامات الزمن أو الايمان المسيحي وانتظار البشرية ؛ أو الزواج والعائلة ؛ أو تشجيع الثقافة التي تكمّل الانسان ، أو الحياة الاقتصادية والاجتماعية او الجماعة السياسيّة ، او الحرب حسبما ينظر اليها الدستور .

مواضيع عديدة تطرّق اليها راهنر او كلنز أو شنو أوشلبكس وغيرهم وأضفوا عليها من علمهم الغزير ومن اختبارهم اللاهوتي والاجتماعي

انطوبل . واننا نجد في هذه الدروس ما يساعدنا على الولوج في الآفاق الواسعة التي ولجتها الكنيسة بشخص اساقفتها وخبرائها يوم التأم المجمع المسكوني وكان لأول مرّة أن ارادت التعمّق في علاقاتها بالعالم بصورة واضحة .

إنما بين المواضيع هذه نُلمح إلى ذلك الذي يتكلّم على الثقافة وكأنها محورُ الدستور الراعوي كلّه لأن لقاء الكنيسة بالعلم يتمّ بواسطتها . ونلمح أيضاً إلى الدرس الذي اعطاه الأب لوبره عن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية .

فلم ير المؤلّفون كلّهم أن يعطوا عن المواضيع التي درسوها الكلمة الفصل . إنما احبّوا ان يساعدوا القارئ ويوجّهوا التفكير اللاهوتي الذي سينحني على هذه المشاكل كلها ليتعمّق فيها وينظّمها .

ا . ع . خ .

JEAN-JOSEPH SURIN, *Guide spirituel*. Desclée de Brouwer, Bruges 1963, 330 pp.

من لا يعرف المؤلف وتأثيره في الحياة الروحية في عصر كان ثريّاً بالمؤمنين الروحيين . انما مؤلفنا وقد كتب عن اختبار عميق وألم عاشه طوال سنين . فاعطانا هذا الكتاب وضمّنه كل ما رآه اساسياً في سير الانسان الواعي نحو غايته القصوى : رؤيا الله .

ولقد خطّ المؤلف في كتابه هذا تعليماً يرجع اليه المؤمن فيجد غذاءً روحياً صافياً ومرشداً قد تبلورت حياته بنور المسيح . فقال لنا ما هو الكمال الحقيقي والكمال المزيّف وما يعوق الانسان في حياته الروحية . وتطرّق الى بعض الفضائل يدرسها ويحلّلها والى الصلاة والمناولة والى بعض الاعمال الدنيوية وإلى بعض الحالات الفائقة الطبيعة . وبهذا طاف المؤلّف حول مواضيع مختلفة فوفاها حقّها واعطانا نظرة شاملة تجعلنا نثق بما قال ونهتدي بما سنّ ونعمل كما أشار فنسير سويّ الطريق . ولن نتساءل في سيرنا اذا كانت الروحانية التي يتكلم عليها المؤلف قديمة او تنطبق على مشاكل عصرنا الراهن . كل هذا يذوب أمام عمق الحياة التي يدعونا اليها في اسلوب وان شاخ فيظل يظهر الخفايا القيّمة التي منها يحيا الانسان .

ونجد في المقدمة تاريخ هذا المؤلّف القيم وخلاصة أفكاره العميقة وشرح بعض الظروف التي اثرت على المؤلف في كتابة مؤلفه هذا .

ا . ع . خ .